هل يعيد التاريخ نفسه ؟
موقف الملوك ، وموقف الشعوب

عثمان شبوب

كان الكتاب الغربيون فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فيما يذكر ارنولد توينبى يضعون هذا السؤال لمجرد التدريب على البحث العلمى أو البحث النظرى .

أما نحن فى الجزائر ـ وأمام عدوان النظام الملكى المغربى على الشعب الصحراوى الذى يندرج ضمن مخطط واسع اعدته الامبريالية بتحالف مع الرجعية لمحاولة اجهاض التجربة الثورية فى المنطقة ممثلة فى الثورة الجزائرية ـ فنضع هذا السؤال

فى كثير من المرارة والاعتبار معا ، ونقول مع القائلين بان التاريخ يعيد نفســـه .

لقد كنا نعتقد اننا جميعا خاصة فى هذه المنطقة قد بلغنا سن الرشد العقلى والنضج السياسى والثقافى ، وانه لا يمكن أن نقع من جديد فى تلك الاخطاء والنكبات التى وقعت فى الماضى نتيجة ضيق الافق ، ونزعة التوسع ، وروح العدوان التى طبعت سياسة بعض قادة الانظمة المجاورة فى علاقتها مع الجزائر .

ولكن نظرة خاطفة الى تاريخ العلاقات بـين الجزائر وهذه الانظمة تبين ان التاريخ قد أعاد نفسه مرات عديدة ، وان هناك ما يدل عــلى وجود ما يشبه النموذج المتكرر فى هذه العلاقات .

وقد استلفتت نظرى بالصدفة خلال مطالعاتى التاريخية نماذج من موقف بعض الملوك فى كل من المغرب وتونس تجاه الجزائر الثائرة فى ذلك الحين . كما وجدت بالصدفة أيضا نماذج رائعة ، صارخة التعبير والدلالة ، لبعض شعراء مــن البلدين تعكس روح الاخــوة العميقة ، والوعى بالمصير المشترك .

وقلت ان هذه المواقف جديرة بذكرها والتذكير بها لعل فيها ما ينفع بعض المؤمنين من أولى الالباب :

1 ــ يذكر الاستاذ أحمد توفيق المدنى فى دراسة له نشرت فى مجلة « الأصالة » السنة الرابعة ، العــدد 26 رجب ــ شعبان 1395 هـ يوليو ــ أغسطس 1975 م ص 39 بعنوان : موقف اسطنبول من سقوط الاندلس : وبعد ان يستعرض الوضعية العامة فى المغرب العربى يقــول : « ... وانهيار دول وقيام دول بالمغرب ترى من واجبها محاربة الجار ، قــبل

الاستعداد لتلقى ضربة العدو ، مثل ذلك أن أبا سعيد عثمان ، ملـــك المغرب ، ارتمى بقضه وقضيضه على تلمسان الزاهرة الغنية فاحتلها سنة 1400 . بينما كان الاسبان قد انزلوا تلك السنة من اسطولهم جنــدا ضخما ، احتل مدينة تيطوان واستقر بها منذ نفس تلك السنة ، وبقى بها ، ولسوء الحظ خمسمائة وخمسين عاما » .

وما أشبه الليلة بالبارحة . الملك المغربى اليوم يغزو الصحراء الغربية ويقتــل ابناءها ، ويردد شعارات توسعية رخيصة ، والاسبان يحتلون سبتة ومليلية المغربيتين !

ونفس النموذج تجده فى موقف الملك المغربى عبد الرحمن بن هشام من ثورة الامير عبد القادر ، قائــد المقاومة الجزائرية فى ذلك الحــين ، حيث اتفق مع الاستعمار الفرنسى على تضييق الخناق عليه وارغامه على الاستسلام بعد ان كان بينهما اتفاق تعاون . وهذا الموقف ناتج عـــن تخوف الملك المغربى من أبعاد ثورة الامير على مستقبل المنطقة . وسجل هذه الحادثة التى تمثل وصمة عار فى جبين الاسرة العلوية فى المغرب ، شاعران مغربيان كانا أبعد نظرا من الملك عبد الرحمن واشرف نفسا ، وانبل عاطفة ، واعمق شعورا بالاخوة .

وانقل للقراء فيما يــلى قصيدى الشاعرين المشــار اليهما أوردهما الدكتور عباس الجرارى الاستاذ فى كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط فى البحث الذى قدمه الى مؤتمر الادباء العرب العاشر بالجزائر من 25 ابريل الى 2 مايو 1975 مع تعليقه عليهما بنفسه :

« حين نبحث فى موقف الشعر من هذا الحادث فاننا نصادف شاعرين مدرسيين وشاعرا شعبيا . أما الشاعران المدرسيان ــ ونسجل انهما كانا

مسؤولين فى الدولة ـ فاحدهما هو محمد غريط (1) وتعرف له قصيدة قالها اثر احتلال تلمسان بدأها باستنكار تباطؤ المغاربة وعدم تحركهم لمواجهة العدو ومذكرا بنواياه وبما كان له فى الاندلس :

مالى أرى جفن اهل الغرب وسنانا … من بعد ما أخذ الرومى تلمسانا
كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم … عدو دينهم ، لا نال امكانا
ولا على فعله فى دفتر وقفوا … بأهل اندلس يا بيس ما كانا

وتساءل بعد ذلك عن وجود رجال المغرب الابطال :

أين الحماة الكماة ما لهم رقدوا … والكفر في أخذهم ما زال يقظانا ؟
أين الاباة لمس الضيم مالهم … اليه لم ينفروا رجلا وركبانا ؟

ثم وجه الخطاب لاستنهاض الهمم والتحذير من العدو والدعوة للاسراع بنجدة الجزائريين ومساعدتهم على الخروج مما هم فيه ، وهو موقف يحتمه الدين :

يا معشر المسلمين استيقظوا وخذوا … من العدا حذركم سرا واعلانا
فليس يومن غدرهم وان بعدوا … فكيف اذ أصبحوا للحد جيرانا

✡ ✡ ✡

(1) المكناسى المتوفى سنة 1280 هـ ـ 1863 م ، كان كاتبا للوديتى عامل فاس ثم عينه المولى عبد الرحمن بن هشام وزيرا بعد عزل العامل المذكور لفضيحة خلقية ولكنه لم يلبث ان اعفى من الوزارة ليبقى كاتبا للوزير الجديد محمد الصفار . كذلك استوزر لسيدى محمد بن عبد الرحمن حين كان خليفة لوالده . أورد له صاحب فواصل الجمان بعض شعره وقال انه كان بيده الكثير منه ولكنه ضاع حين سلمه لبعض اصدقائه . انظر ترجمته فى : الاتحاف ج 4 ص 248 ـ فواصل الجمان ص 63 الاعلام لابن ابراهيم ج 5 ص 320 .

وتنقذوا أهلها من العدو فقد … أراهم من شنيع المكر ألوانا

والدين أوجب أن سعى لنصرتهم … بالنفس والمال أشياخا وشبانا

وختم بالحث على الجهاد والموت فيه فهو أفضل موت للمرء الحر الذى يرجو ثواب الله خاصة وان العمر لا يتأثر بمواجهة الخطر أو القعود عنه :

موتوا كراما فان الحر يأنف من … معيشة تدع الحليم حيرانا

لا موت أفضل من موت الجهاد لمن … يرجو من الله رحمات ورضوانا

كونوا صلابا على أهل الصليب فلا … دين لمن لعدو دينه لانا

✡ ✡ ✡

وشمروا وانهضوا وسارعوا وعلى … جلاده اخوة كونوا وأعوانا

ما قصر العمر اقدام على خطر … ولا أنال الخلود الجبن انسانا

والشاعر الثانى هو محمد بن ادريس الزمورى العمراوى الملقب بـ « السلطان الصغير » (2) وله ثلاث قصائد :

---

(2) الذى لقبه هو احد أولياء فاس كان يعتقد فيه ويخدمه ويعرف بمولاى عمر • كان كاتبا للمولى عبد الرحمن فى فترة خلافته للمولى سليمان بفاس ثم وزيرا له بعد توليته الملك • غير انه تعرض للعزل والسجن سنة 1247 هـ لاتهامه باثارة بعض الحوادث ثم أطلق سراحه ليسجن مرة ثانية • وبعد الافراج عنه كتب القصائد فى استعطاف السلطان وتوسط له بعض أصدقائه فأعاده الى الكتابة ثم الوزارة • ولعله بقى فى منصبه الى ان توفى سنة 1264 هـ 1847 م • وهو كما يبدو من الديوان صاحب موهبة وشاعرية نلمحهما حين تخف وطأة التصنيع والزخرف المسيطرين على شعره وهو القائل عن نفسه : « لقد غاص فكرى فانتقى دررا فنظمها نظام الجواهر » انظره فى : الجيش ج 2 ص 148 والسلوة ج 2 ص 362 وفواصل الجمان ص 40 والاتحاف ج 4 ص 189 والاعلام ج 5 ص 263 والسلطان الصغير لعبد الرحمن الفاسى (مجلة رسالة المغرب س 9 ع 47 — 49) ومحمد بن ادريس لناصر الفاسى ، (مجلة البحث العلمى س 1 ع 1) والحياة الادبية فى المغرب على عهد الدولة العلوية ص 327 •

يقول فى الاولى (3) حاثا على الجهاد ومنبها الى الخطر المحدق فى أسلوب خطابى قوى يلح على صيغة التوكيد :

يا أهــل مغربنا حــق النفــير لكم ... الى الجهاد فما فى الحق من غـــلط

فالشرك من جنبات الشرق جاوركم ... من بعد ما سام أهل الدين بالشطط

فـــلا يغــرنكم من لــين جانبــه ... ما عاد قبل على الاســلام بالسخط

فعنده من ضروب المكر مــا عجزت ... عن دركه فكــرة الشبان والشمط

فراتح المكــر تبــدو من خواتمه ... فعنده المكــر والمكروه فى نمــط

وأنتــم القصد لا تبقن فى دعـــة ... ان السكون الى الاعدا من السقط

من جــاور الشر لا يعــدم بوائقه ... كيف الحياة مــع الحيات فى سفط

قد يغبط الحــى فى عـــز يخلده ... وليس حــــى عــلى ذل بمغتبط

ويقول فى الثانية (4) حاثا كذلك على الجهــاد باعتباره فــرضا على الجميع ومذكرا بفضائله وانه الوسيلة للنصر اذ به تم نشر الدين وفوز للرسول والمسلمين :

فرض على كل مسكــين وسلطــان ... حمــل الســلاح على عبــاد اوثان

فحملــــه شرف عـــال ومفخــرة ... خــص الالاه بهــا أعــز عبــدان

لا شيء أحسن من صوت السلاح على ... الاعناق فى طاعة المــولى ورضوان

فهــو الوسيلة فى نصر الالاه لكــم ... ونصرة المصطفى اجـــل عــدنان

(3) انظرها فى الديوان ص 402 والحلل البهية ص 211 والاستقصا ج 9 ص 50 .

(4) وهى قصيدة تشتمل على مائتين وعشرين بيتا وتسمى «سرية النصر لاهل هذا العصر» انظرها فى الحلل البهية ص 211 .

وليس يجحد فضل حمله ملك　　وليس يانف عنه كل خاقان

به نبيكم الاله شرفه　　بحملة لامتثال أمر رحمان

به أزيلت لهذا الدين غربته　　وطار صيتا به بكل بلدان

والى نفس الفكرة يدعو فى القصيدة الثالثة (5) التى يستهلها بقوله ينبه المغاربة من الغفلة ويثير فيهم الحماس لمقاومة العدو الذى أصبح بين ظهرانيهم يتهيأ للانقضاض عليهم :

يا ساكنى الغرب الجهاد الجهاد　　فالكفر قد شارككم فى البلاد

والشرك قد نصب أشراكه　　مستعبدا بكيده للعباد

ويا حماة الدين ما صبركم　　والمشركون يطلبون البداد

ما هذه الغفلة عن ضدكم　　وأنتم فى الحرب أسد الجلاد

وهو فى دعوته للجهاد يعرض للوضع الذى غدت عليه الجزائر بعد الاحتلال ويتوسل بمثل مشهور لعل المغاربة يتخذون منه العبرة :

واسطة الغرب قد حازها　　والامر جد والبلا فى ازدياد

حوى الجزائر ووهرانها　　وراع حاضرا بذلك وباد

مصائب صبت على معشر　　يبكى من الاشفاق منها الجماد

☆ ☆ ☆

اخوانكم دينا وجيرانكم　　أضحوا رعايا الشرك بين أعاد

ساموهم هونا وازروا بهم　　فى الدين حتى ركنوا لارتداد

---

(5) انظرها فى الديوان ص 179 وفى تقديمها ورد ان السلطان « أمر ان تقرأ عقب الصلوات فى المساجد وكراسى الوعظ فى أدنى البلاد وأقصاها » .

وطمعوا فيكم فكونوا يدا فان تثاقلتم فانتم مراد
قد ملكوا الاحرار من غدرهم وذللوا بالكره صعب القياد
من حلقت لحية جار له فلتكونن لحيته فى اعتداد

كذلك نجد للشاعر ابن ادريس قصيدة توسلية (6) قالها بعد هزيمة المغرب فى ايسلى أولها :

سلام يفوق الورد في الطيب والزهرا ويفضل فى اشراقه الانجم الزهرا

ونقتطف منها هذه الابيات :

وانى قد استرعيت منهم دعية وحملت من اعباء أمرهم أصرا
أروم لها التوفيق والرشد والهدى وأرجو لها الاسعاد والحفظ واليسرا
وآمل من جدواك كل عناية ونصرا عزيزا يهدم الشرك والكفرا

☆ ☆ ☆

فكن يا رسول الله غوثا لامة تمت الى علياك بالنسبة الكبرى
فما أنزلوا الا ببابك رحلهم ولا اتخذوا يوما سواك لهم ذخرا
ولا استنصروا الا بجاهك في الوغى ولا قصدوا في الخلق زيدا ولا عمرا
ولا حصروا الا عليك رجاءهم وما قصروا لو خلفوا النهى والامرا
وقد جاوروا من عصبة الكفر أمة تريد بنصب الماكرين لها الجرا

☆ ☆ ☆

اجرنا فنعم الجار انت لمن لجا ببابك واستكفى بهمتك الاصرا
وغر يا رسول الله عزما لامة دعوك ولب صوتهم واحبهم جبرا
وأظهر لها من عز جاهك نصرة ترد على الاعقاب من سامها ذعرا

---

(6) انظرها فى الديوان ص 206 والاتحاف ج 5 ص 271 .

والنموذج الآخر من تونس حيث نجد موقف النظام البورقيبى من الجزائر وثورتها واطماعه الجنونية التى عبر عنها فى المدة الاخيرة يذكرنا بموقف وأطماع بعض ملوك العائلة الحسينية فى تونس . وهذه فقرة أنقلها من دراسة هامة بعنوان : « مسألة الحاق طرابلس الغرب الى تونس سنة 1834 » للدكتور عبد الجليل التميمى المنشورة فى العدد الرابع من « المجلة التاريخية المغربية » التى تصدر بتونس ، فى معرض الحديث عن محاولات الخلافة العثمانية استرجاع الجزائر تكشف عن هذا التماثل القائم بين الاطماع القديمة والاطماع الجديدة ، ولله فى خلقه شؤون ! واليكم الفقرة المعنية : « ... وقد تركز اهتمام الباب العالى فى العمل على ربط ولاية تونس بالمركز خشية تزايد تسرب النفوذ الفرنسى اليها والحيلولة دون سقوطها فى يد الفرنسيين . الا ان الباى ووزراءه اظهروا تصلبا فى موقفهم تجاه الباب العالى وذهبوا حتى الى رفض تعاليم السلطان القاضية بمساعدة الجزائريين وخاصة باى قسنطينة الذى ما انفك يطالب بالنجدة من باى تونس ومن الباب العالى على حد سواء ، ذلك ان تغيير توازن القوى فى المنطقة جعلهم يتوددون الى الحكام العسكريين الفرنسيين بالجزائر ويذهبون حتى الى عقد اتفاقية سرية مع كلوزال ، حاكم الجزائر العام ، يقضى بتفويض أمر قسنطينة ووهران الى العائلة الحسينية ، سرعان ما تحول الى وعد بتفويض الجزائر كلها الى تونس (7) وقد نشط

(7) صرح فعلا كلوزال الى حسونة مورالى مبعوث الباى اثناء المداولات طالبا منه ان يعلم الباشا بأن دولة الفرنسيين ما صنعت هذا الامر مع دولة تونس ومكنتها من قسنطينة وعمالتها الا مرادها انها بعد تمكنها بجميع عمالة الجزائر وما احتوت عليه من البلدان بعد الاتفاق بينهم على ما يتراضوا (كذا) به واسمع منى يقينا وصدق به انه اثناء العامين من هذا الوقت ، لابد تكون جميع عمالة الجزائر فى قبضة ملك تونس لما بينهم وبين الفرنسيين من المودة ...) .
راجع هاته الوثيقة بارشيف الدولة التونسية ، رقم 411 مجموعة أ تقرير حسونة ورديانى باشا بتاريخ 26 جمادى 12/1246 ديسمبر 1831 .

شاكير صاحب الطابع فى انجاز ذلك خصوصا وهو يطمح الى توسيع مملكة تونس وابعاد مصطفى وأحمد باى عن الحكم » .

وفى هذا الوقت الذى كان فيه باى تونس حسين باشا يتخذ هذا الموقف المخزى فى تاريخ الشعب التونسى والتاريخ المغربى عامة كان الشعب التونسى يذوب ألما وحسرة على احتلال الجزائر ، وسيلمس القارىء هذه المشاعر الدفاقة بالاخوة والوعى الحاد لابعاد الاحتلال فى هذا القصيد الذى نظمه الشاعر أحمد بن على القبيجى من قليبية بتونس بعنوان : « رثاء سقوط الجزائر 1830 » وقد ارسل الى هذا القصيد الاستاذ محمد الصادق عبد اللطيف من مدينة قليبية بتونس لينشر فى الأصالة ، وهو قصيد لم ينشر بعد ، كما ذكر لنا فى مراسلته ، وكنا عند حسن ظنه ، فأراد « للأصالة » ان يكون لها فضل السبق فى نشره ، فله منا جزيل الشكر .

رأيت من الافيد ان أنشر هذا القصيد فى هذه الظروف لدلالته العميقة الدامغة ، وهذا نص القصيد :

رثاء سقوط الجزائر 1830

للشاعر : أحمد بن علي القبيجى (*)

عظم الله أجركم فى الجزائر   وجزاكم برزئها أجر صابر
فهى والله فى البلاد لحق   ان تعزى بها وتبكى الحرائر

(*) الشاعر أحمد القبيجى من مواليد قليبية ومن أهلها : هو أحمد بن على بن أحمد بن على ابن رمضان القبيجى ، وهذا الاخير الذى أتى ضمن اللفيف التركى الى قليبية . الشاعر أحمد من شعراء القرن 13 هـ ، وقد عاش موظفا فى دولة القرمة متنقلا بين طرابلس (ليبيا) وصفاقس ومالطة والاسكندرية اذ كان يحسن سياقة السفن التجارية له ديوان =

ويحق عليها لبس السواد ... بعد وقعتها وحلق العزائر
فليبك من يشاء البكاء فليس ... لعزيز علينا فقد النواظر
ولتكن مقلة الحزين عليها ... فى انتباه فما النوم كساهر
هذه الروح أقبلت تتغالى ... وأرادت على الانام التظاهر
بدؤوا بالجزائر حيث كانت ... فى نحورهم كنبلة واتر
وأعدوا لحربها ما استطاعوا ... من خيوط وعدة وعساكر
ورموها برمية فصموها ... وعموها وما رأوا غير دابر
القت الناس لهم كل سيف ... كان قبل الورود فى الغمد صادر
دخلوها وملكوها خداعا ... ودنوا من أميرها دون زاجر
وتولوا خزانة لو حوتها ... يد قارون لم يزل يتفاخر
وأقاموا علامة الكفر فيها ... وأطاعتهم اناس فواجر
ومحوا حسنها كأن لم تكن ... فيها لله قبل ذاك شعاير
وكأن لم تكن تصول فيها ملوك ... عندهم نازل سواء وطائر
وكأن لم تقدم فيها رجال ... بحقوق الجهاد فى كل فاجر
وكأن لم تدن ولاء وعزل ... لمجير من الانام وجابر

= مخطوط فى حوزتى به 113 صفحة من القطع المتوسط قياس 22 × 16 الديوان من الفصيح يحتوى على 1260 بيتا ، له تشطير وتخميس لامية بن الوردى وقد ترك مجموعة من الرسائل تبادلها مع علماء عصره توجد حاليا فى متحف دار الجلولى بصفاقس (أملك نسخة مصورة منها) لـه اتصالات بالشيخ الصوفى قاسم الشركى الاسكندانى ، كلفه باشا طرابلس يوسف القرملى باستخلاص الضرائب الموظعة على الزيت بتاجوراء ومسلاتة وقد حبسه حسين باى 1239 هـ . باحدى ثكنات تونس العاصمة ومنعه من الذهاب الى طرابلس ووعد باطلاق سراحه فى عاشوراء 1250 هـ ـ 1834 م .

وهذا القصيد كتبه الفقيه أحمد بن على القبيجى (1) القليبى يرثى الجزائر أعادها الله للاسلام وكان دخول النصرانى لها دمره الله يوم الاربعاء ستة عشرة مضين من محرم الحرام عام 1248 م .

قدر الله أن تعود لنقص ... بعد هذا التمام والله قادر
فهى هذا علوها فى الحضيض ... وهى بعد شبابها فى الغوابر
اخذتها العدى وماذا يفيد ... ان بكى منشد وان ناح شاعر
ان تعيشوا بعدها فستروا ... ما به تحسدون أهل المقابر
ذلة واهانة وعناء ... وكفاهم بمسلم طوع كافر
وتقولون ان فشلتم ، سوف تأتى ... الله عقب ذاك بشاير
نعم انى بلغتم ما سألتم ... بعد أن تبلغ القلوب الحناجر
ما يكون اعتذاركم بعد أسر ... لا ترون له مفاداة عاذر
وبنيكم وأهلكم طوع من لم ... يرض ان غضبوا بغير التشاجر
هذه الموت والبلاء العظيم ... والمصاب الذى يضيق الخواطر
فاعملوا الحزم ما استطعتم ... ان هذا الزمان بالناس غادر
واستقيموا على طريقة رفق ... واتفاق ، وانضموا كالجواهر
انها نار فتنة وقودها ... بيدى نجس رسموه طاهر
كافر فاجر ظلوم خؤون ... عاضد لاولى الضلال وناصر
جاء من حضرة الخليفة يترى ... باختلاق أوامر وبشاير
أضحك الناس ساعة ثم أبكى ... من له مقلة بدمع تحاذر
واران الخداع فى الناس فهو ... لم يزل ناهيا بشر وآمر
فاسألوا الله بالنبى عساها ... ان تدور به عليه الدواير

والتاريخ يسجل للجزائر مواقف مشرفة ، ناصعة فى نصرة القضايا العادلة عكس ما تدعيه أبواق الرجعية فى المدة الاخيرة من اتهام الجزائر بالتوسع والتسلط والتحالف مع الاسبان بل وحتى محاولة تشويه تاريخ الجزائر . وهذا كله لان الجزائر اعانت الشعب الصحراوى فى كفاحه لنيل استقلاله والدفاع عن مبدا تقرير مصيره ، واختارت لنفسها منهجا متحررا فى البناء الاجتماعى والسياسى والثقافى والاقتصادى تراه هذه الانظمة خطرا على مصالحها .

ان مواقف الجزائر ازاء المضطهدين وقضايا التحرر فى العالم تكلل هام تاريخنا الوطنى ، ولا يسع نطاق هذه الكلمة للافاضة فيها . ويكفى كنموذج فقط ان انقل للقراء فقرات من رسالة بعث بها مسلمو غرناطة الى السلطان سليمان القانونى سنة 1541 . (راجع بحث الدكتور عبد الجليل التميمى : رسالة من مسلمى غرناطة الى السلطان سليمان القانونى سنة 1541 . الأصالة عدد 23) وفيها من الحقائق ما لا يحتاج الى تعليق عن موقف الجزائر من القضايا العادلة عبر التاريخ :

« ... قد تكالب العدو علينا ومدد السوء والضرر الينا ، واحاطت بنا الاعداء من كل جانب ، ورمونا عن قوس واحد بسهم صايب ، وطالت بنا الايام ، وعاثت فينا يد النكاية والايلام ، وخذلنا جيراننا واخواننا ببلاد المغرب من أهل الايمان ، وقد كان بجوارنا الوزير المكرم ، المجاهد فى سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين ، علم باحوالنا ، وما نجده من عظيم اهوالنا لما كان بالجزائر ، واجتمعت أهل الاسلام على اطاعة مولانا ومحبته بالخواطر والظماير (كذا) وانتظم العدل والشرع والامان فى البادى والحاضر ، فاستغثنا به فاغاثنا. وكان سببا فى خلاص كثير من المسلمين ، من ايدى الكفرة المتمردين ، ونقلهم

الى أرض الاسلام ، وتحت ايالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان ، فلما سمع الكافر اللعين بذلك ولم يقدر على منعنا بالسياسة والاهانة والحرق بالنيران ، علم انا اخترنا المصيبة في الاموال والابدان ، واثرنا ديننا على ساير الاديان ، فلما صدقت الضماير ، وبلغت القلوب الحناجر ، خاف من عصبتنا واجتماع كلمتنا وتركنا أموالنا وأوطاننا وهجرتنا وفرارنا الى بلاد الاسلام لسلامة ديننا ، تحاير في أمره ، وجمع اليه أهل تدبيره وحزبه ، فدبروا ومكروا وهل يحيق المكر السيء الا باهله ؟ واتفق رأيهم المعكوس ، وتدبيرهم المنكوس ، على قتال الجزائر ، ليلا يبقى ببلاد المغرب لاهل الاسلام ناصر ، فعاقبهم الله بعقاب اصحاب الفيل ، وجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم ريح عاصف وموج قاصف (كذا) ، فجعلهم بسواحل البحر ما بين اسير وقتيل ، ولا نجا منهم من الغرق قليل ، والآن اشتد غضبهم على أهل الاسلام ، وهم يتسولون بالرهبان والاصنام ، ونحن نتوسل بسيد الانام الى موجب الوجود ذو (كذا) الجلال والاكرام ، وهم عازمين (كذا) على الجزائر ، والله تعالى هلكهم وينصر دينه وهو نعم الناصر ، يا مولانا سلطان البرين نصركم الله ، المدد المدد لنصرة الجزائر لانها سياج لاهل الاسلام وعذاب وشغل لاهل الكفر والطغيان وهى موسومة باسمكم الشريف ، وتحت ايالة مقامكم المنيف ، وقد اصبحت القلوب المنكسرة بها عزيزة ، والرعية المؤتلفة بها مؤتلفة اليفة » .

كان هذا هو موقف الجزائر فى مديد العون والمساعدة للمضطهدين من مسلمى الاندلس . ويتجدد هذا الموقف اليوم مع كل المناضلين من أجل حريتهم وكرامتهم وفى مقدمتهم الشعب الصحراوى .

☆ ☆ ☆

والآن قد يتساءل معنا القارىء ، هل تسجيلنا لهذا النمط المتكرر من الاحداث التاريخية يفضى بنا الى اعتباره قدرا محتوما لا مناص لنا من الخضوع له ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال هى بالنفى بكل تأكيد ، لاننا بكل بساطة ، وعلى طول تاريخنا الوطنى ، نحلم دائما بالمستقبل . والحلم ثورة .

يقول « كروجى » ان التاريخ كلــه تاريخ معاصر ، يــريد بذلك ان التاريخ يتكــون فى الاساس من رؤيــة الماضى بمنظار الحــاضر وبضوء مشاكله .

وهذا الادراك للبعد التاريخى هو أساس بناء المستقبل وليس هناك ما يمنع من ان لا نتأثر بسوابق التاريخ ، انه لا يتحتم علينا ان نحكم على التاريخ بان يعيد نفسه ، وامام مثقفى المغرب العربى وقــواه الواعية فرص ملائمة ليوجهوا التاريخ وجهة جديدة . عليهم ان يعيدوا التاريخ الحق ، تاريخ الشعوب ، وعندها ستنفتح أبواب الوحدة الطبيعية الحقيقية الخلاقة .. وتنتظم حلقات التاريخ المغربى فى سلسلة متصلة ، متسقة ، فى خط مستقيم صاعد . والزمن يعمل معنا ، ولا مرد لاتجاهه على بعــث مغرب الشعوب ، وسوف يتجسد مطلب الشعوب حتما .

موقف ملك المغرب من الجزائر

إثر الاحتلال الفرنسي

المهدى البوعبدلى
عضو المجلس الاسلامى الاعلى
– الجزائر –

تعرض كثير من المؤرخين لموقف المغرب هذا اثر الاحتلال الفرنسى مباشرة ، أى بعد استسلام باى وهران حسن قبل مبايعة الامير عبد القادر ، ثم تجدد الموقف مع الامير فى اخريات ايام حربه ، وبالضبط فى نفس السنة التى وضعت حربه مع الفرنسيين أوزارها، وختمت صفحة جهاده ، اذ كثيرا ما اشتبه على المعاصرين الموقفان اللذان ظنوا بانهما واحد ، كما سنبين ذلك بتفصيل فى هذه الدراسة • ولضيق مجال هذه الدراسة اقتصرنا على ثلاثة مصادر لها علائق جوهرية بالموضوع :

المصدر الاول : كتاب المزارى المعروف « بطلوع سعد السعود ، فى أخبار وهران ومخزنها (1) الاسود » ألفه صاحبه سنة 1307هـ توجد منه نسخة خطية ـ أظنها الاصلية ـ بمكتبة المتحف البلدى بوهران •

---

(1) المخزن : الجيش النظامى المتكون من القبائل الموالية للباى •

المصدر الثاني : تقرير في الموضوع كتبه بواى BOYER القائد الاعلى للجيش الفرنسي بوهران (مؤرخ في 15 نوفمبر 1831) وقد نشره الكاتب الفرنسي بول لفرانك Paul Le Franc في « مجلة الجمعية الجغرافية » الصادرة بوهران (الجزء 53 مارس 1932) .

المصدر الثالث : ما كتبه في الموضوع المؤرخ الناصري في تأليفه « الاستقصاء » .

قال المزاري في تأليفه المذكور بعد أن استعرض أحداث الاحتلال ، وانذار الاسطول الفرنسي للباى حسن ، وتخييره بين الاستسلام أو الحرب ، أرسل سكان (1) تلمسان وفدا الى ملك المغرب لانقاذهم وكان الملك أنذاك عبد الرحمن بن هشام ، فارسل الملك ولد عمه مولاى علي وفي هذا قال المزاري « وبعث ابن عمه مولاى على ولد السلطان مولاى سليمان ومعه خليفته السيد أحمد الحجوطي وأوصاه أن يبعث الحجوطي لمعسكر ويتخذ هو دار سكناه بتلمسان ولما وصل مولاى علي الى تلمسان انقسم أهل المخزن الى قسمين ، قسم تحت رياسة الحاج محمد المزارى مؤيد لمولاى على ، والقسم الآخر تحت رياسة مصطفى بن اسماعيل مؤيد للباى حسن وكان دمريمو (لعله DAMREMONT بالمرسى الكبير ينتظر اتيان الامر له لدخول المدينة (وهران) ثم جاء جيش مولاى علي لغنم المخزن الذى بوهران فأخذها عن آخرها وقصد (2) تلمسان فقصد تلمسان فسمع مخزن وهران بذلك فلحقوا مالهم ... فبينما هم غائبون عن البلد واذا بالجنرال دمريمو لما سمع بذلك اغتنم الفرصة ودخل لوهران ولم يتكلم فيه وجه واحد (أى طلقة نارية) كما لم يتعرض لواحد من السكان بالاذاية وكان دخوله لها في 4 جانفي 1831 ـ 9 رجب 1246 وقيل أول رجب الموافق 27 ديسمبر 1830 ولما دخل لوهران أخذوا السلاح لاهلها وتركوا الحكم كعادته ... ثم أركبوا الباشا بمن معه من الاتراك والباى حسن بما عنده أيضا من الاتراك وأوصلوهما للمحلات التى أرادوها كان الجيش الذى لحق مولاى علي تحت

(1) يذكر المزارى أن الباى حسن هو الذى أرسل وفدا الى ملك المغرب فأجابه الباى الى رغبته ، وبقية الروايات كلها متفقة على أن سكان تلمسان بعثوا وفدا يحمل بيعتهم الى ملك المغرب ، وقد أيد هذه الرواية شرشيل الانكليزى وذكر أن التاجر ابن نونة المغربي هو الذى سعى في هذه البيعة .

(2) ان لغة تأليف المزارى مهلهلة ، ومحافظة على أمانة النقل لم أغير مفردة واحدة .

ـ التاريخ يعيد نفسه ـ



بدون تعليق

قيادة مصطفى بن اسماعيل فقابل مولاى علي وكان هو الآخر جمع ما عند أهـل تلمسان وخليفته أحمد الحجوطى ما بمخزن وهران ، وللغد ذهبا معا الى المغرب ومعهم مصطفى ابن اسماعيل واعيان المخزن الذين معه مغلولين على البغال ـ أى مكبلين ـ ولما وصل لفاس مثل أعيان المخزن بين يدى السلطان مولاى عبد الرحمن أظهر لهم توبيخه وأطلق سراحهم وبعث معهم نائبا آخر أحمد بن العامرى كان مصطفى بن اسماعيل من دعاته وفى هـذه المدة أتى النصارى بجيش تونسى تحت رياسة خير الدين (سنتحدث عنه فى آخر هذه الدراسة) ثم ظهر من احمد بالعامرى ما كان ادهى من سلفه مولاى علي ٠

ولما حصل لهذا الوطن بالمغاربة الاذلال أنشد بعض الادباء من أهله بأبيات فقال :

آها للمغـرب الاوسـط ضـاعا	وبان وهنـه ومـن به جاعـا
تـراكمـت اهـواله وزادت	بـه الشـدائد الفسـاد ذاعـا
جـاء بـه للحكـم أهـل فاس	فجاسـوا خـلال ديـاره سراعا
وحلـوا وابرمـوا الحكم بظلم	ودبـت فيمـا اجـراه ضبـاعا
كانـه عـلى التحقيـق ليسـت	بـه رجـال قـد قهـروا سباعا
لا غـرو يا علويـين يحـل	بكـم ما ببنى سعـد قـد عاعا
فانـه قبلكـم قـد جـاءوا	لمغربنا وقـد ذهبـوا جـزاعا
رأوا مـن بأسنـا ما ليس يرى	واسيافنـا للحـومهـم قطـاعا
بنادقنـا رصـاصهـا مصيـب	لهـم بكـل حالـه وقـاعا

ولما ذهب الاتراك من وهران والمغاربة من معسكر وتلمسان وذلـك فى عـام 46 قامت الغرب على بعضها بعضا ثم ساءت سيرة الجند التونسى فأطرد » ٠

أهـ ما كتبه المـزارى (1) ٠

---

(1) كان المزارى من اقارب مصطفى بن اسماعيل وهو أخـو المزارى الذى تـولى القيادة فى العهد التركى ثم فى عهد الامير وهو المذكور فى ص 3 ٠

ثم ذكر المزارى الظروف التى تولى فيها والد الامير السيد محيى الدين واثبت قصيدة باللغة الدارجة وصف فيها صاحبها أول معركة وقعت بضواحي وهران بين الجند الاسلامى الذى يترأسه محيى الدين والجيش الفرنسى ·· ولننتقل الى تقرير الجنرال بواى Boyer وهذا نصه : « **الجنرال بواى الى وزير الحرب وهران فى 21 سبتمبر 1831** ·

(وثيقة تاريخية فى الاحداث التى وقعت بولاية وهران بداية من نزول الجيش الفرنسى بمرسى سيدى فرج) ·

عندما بلغ لداى الجزائر الخبر الرسمى عن مسيرة الاسطول الفرنسى من مدينة تولون TOULON ظهر له ان هذا الاسطول لم يتوجه كله لمدينة الجزائر بل بعضه يقصد وهران والمرسى الكبير فاعطى أوامره الى الباى حسن الذى كان يمثله بوهران ان لا يرسل أى جندى الى الجزائر ، ولكن ينبغى له ان يأخذ العدة لتحصين بروج وهران ··· (ويذكر صاحب التقرير باسهاب وتفاصيل الاحداث التى عاشتها وهران والجزائر بعد ذلك فاخترت الاقتصار على ما به الحاجة أى موقف المغرب من الجزائر آنذاك) ·

« فسكان تلمسان تخوفوا من مصيرهم عند انتشار الفوضى ارسلوا الى ملك المغرب وفدا يحمل بيعتهم فقبلها ومولاى على الشريف حفيد الملك استولى على تلمسان وكان معه جيش يشتمل على 700 شخص أتى بهم من المغرب ولكنه لم يمكنه الاستيلاء على قصبة البلاد التى كان يسكنها الجيش التركى والكولغلى كان مولاى علي رغم امتناع الجيش التركى من الاعتراف به وتمكينه من القصبة يتمتع بنفوذ شعبى فهو قريب لملك المغرب وكانت عمامته الخضراء تضفى عليه احترام سليل الرسول وكان يظهر الورع والاستقامة كما كان ينقصه تاييد الرئيسين الشيخين مصطفى بن اسماعيل وموسرلى Mousserly والجيش التركى ـ المتحدث عنه ـ المرابط بقصبة تلمسان فاستعمل للبلوغ الى هدفه جميع وسائل الاغراء من تقديم الهدايا والوعود ليعقد اجتماعا مع الرئيسين اذ لما لبيا دعوته للموعد الذى ضربه كانوا بمجرد وصولهم تلقاهم اعوانه فالقوا عليهم القبض وكبلوهما بالسلاسل هم ونحو 600 جندى من اعوانهم وكل هؤلاء الجنود من سكان الدوائر والزمالة (القبيلتين المواليتين للحكم التركى) وأرسلهم كلهم الى المغرب فهذا

التصرف اثار حقد العرب الذين غادروا تلمسان وأوصوا الجالية التركية أن لا تمكن الشريف من البلاد ثم ان الجنرال كلوزيل الذى احتج بدوره عن الدور الذى اراد مولاى علي ان يلعبه فارسل انذارا واحتجاجا الى الملك المغربى بواسطة الكولونيل أوفرى AUVRAI فكان رد فعله مغادرة مولاى على البلاد ويمكن ان سبب هذه المغادرة ما ظهر له ان يستحيل عليه الاحتفاظ بسلطته فغادر تلمسان خفية صحبة عساكره الذين أتى بهم» اهـ.

ثم واصل الجنرال فى تقريره ذكر الاحداث التى مرت على وهران اذ ذاك الى ان واصل حديثه عن مصير مصطفى بن اسماعيل ورفقائه بعد وصولهم مكبلين الى المغرب فقال :

« اننى اخبرتكم فى التقرير الذى بعثته ان رسولا ثانيا أتى من المغرب الى تلمسان وان سكانها اعترفوا به فها هى التفاصيل :

كنت حدثتكم عن 12 من الرؤساء ـ تلمسان ـ كانوا أرسلوا مكبلين بالسلاسل الى المغرب صحبة الرئيسين الشيخين مصطفى بن اسماعيل من أهل القبيلة العظيمة الدوائر والموسرلى EL MOUSSERLY رئيس قبيلة الزمالة ، فهذه الشخصيات بمجرد وصولها الى المغرب اظهرت ولاءها لتنجو من المخاوف التى انتابتها وتحافظ على الحياة وتعهدت للملك بانها تبذل قصارى جهدها لتمكين ممثل الملك من الحكم على المنطقة فسمع الملك لتعهداتهم وارسل معهم ممثلا ثانيا وهو العامرى والى تطوان السابق الذى وصل الى تلمسان على رأس مائتى جندى فى أوائل أوت وحينئذ كاتب مصطفى بن اسماعيل ورفيقه الى السكان يطلبون منهم الاعتراف بالوالى الجديد الا ان القبائل كما يقال اعطتهم الاذن الصماء فاغتنموا هذه الفرصة واتصلوا بمائتى ، وألف فارس من عشائرهم اتخذوها للوقاية ، اذ فى داخل الامر كانوا ضد مطامع الملك وفى حقيقة الامر يرسلون خفية الى السكان لئلا يغتروا بملك المغرب » اهـ .

هذه صفحة ثانية من مواقف ملك المغرب مع الجزائر ذكرناها باجمال وهى ما وقع اثر الاحتلال الفرنسى مباشرة أى فى سنة 46 هـ 1831 م .

وقد ذكر الجنرال في تقريره هذا احداث وهران مع رسول باى تونس سنتحدث عنها فى محلها أى آخر هذه الدراسة .

والآن نذكر المصدر الثالث الذى اعتمدناه فى هذه الدراسة وهو ما ذكره فى الموضوع المؤرخ المغربى أحمد بن خالد الناصرى السلاوى فى تاليفه « الاستقصا لدول المغرب الاقصى » ·

وان استعرض صاحبه أحداث الجزائر اذ ذاك أى الاحتلال الفرنسى الذى اعقبته تولية الامير بعد سنتين حاول مؤرخنا تزييف الحقائق تزييفا جليا يظهر بوضوح عند قراءة مقاله · قال فى ص : 191 من الجزء الرابع (طبع مصر 1310) ما يلى :

« ظهور الحاج عبد القادر بن محيى الدين المختارى بالمغرب الاوسط وبعض اخباره » وبعد هذا العنوان ذكر « لما رجع جيش السلطان من تلمسان مع المولى على بن سليمان (سنذكر ما قاله الناصرى فى هذه القضية بعد انهاء حديثه عن ظهور الامير) حسبما مر ، بقى أهل تلمسان فوضى ورجعت الحرب بين الحضر من أهلها والكرغلية ··· (ثم ذكر اجتماع السكان ومبايعتهم لوالد الامير الذى اعتذر لكبر سنه وقدم ولده ولما جاءته وفود وأخبروه انهم سبق لهم ان بايعوا ملك المغرب) وهذا قوله فى الموضوع « ولما سمع به أهل تلمسان وهم احوج ما كانوا الى من يقوم بامرهم وفدوا عليه واخبروه بما كان منهم من مبايعة السلطان المولى عبد الرحمن صاحب مراكش وفاس وانهم يبايعونه على بيعته والاعلان بدعوته فاجابهم الحاج عبد القادر الى ذلك واخذ عليهم البيعة واظهر الطاعة والانقياد للسلطان المولى عبد الرحمن وخطب به على منابر تلمسان وغيرها وولى على تلمسان واعمالها وزيره ابا عبد الله محمد (1) البوحميدى الولهاصى وكتب الى السلطان يعلمه بانه بعض خدمه وقائد من قواد جنده واستقام أمر الحاج عبد القادر وثبتت قدمه فى تلك الايالة التلمسانية ثم ان قبيلتى الزمالة والدوائر الذى قدمنا ذكرهم انحرفوا عن الحاج عبد القادر لاسباب . . . . واعلنوا بدعوة الفرنسيس فقبلهم وحماهم وحدثت بينه وبين الحاج عبد القادر بسببهم حرب صلبة ··

(1) وهو الذى قتله الملك عبد الرحمن كان ذهب اليه سفيرا والحق به الحافظ بن عبد الله المشرفى ، قيل مات مسموما بعد ان استقبله الملك اذ أوفده الامير ، وانشد قصيدة بليغة أعجب بها الملك عبد الرحمن بن هشام ·

••• الى ان قال فى فصل آخر فى ص : 198 تحت عنوان « بقية اخبار الحاج عبد القادر وانقراض أمره وما آل اليه حاله » •

قال : « قد قدمنا ما كان من فساد نية الحاج عبد القادر وانه رام الاستبداد بل والتملك على المغرب فلما كانت الهزيمة بايسلى ازداد طمعه ••• الى ان ذكر المعركة التى وقعت بين الجيشين أى جيش ملك المغرب وهنا نذكر ان المؤرخ سواء ذكر ذلك عمدا أو ساقه وصف الاحداث على ما هى الى ذكرها فقد كان نزيها فى وصفه لهذه المعركة التى يؤيدها بعض من لا نشك فى صحة رواياتهم وهم الشعراء الشعبيون • قال الناصرى فى وصف هذه المعركة تتجلى فيها البطولة والاستهانة بالحياة فى سبيل العزة والشرف قال : « فلما اطلع السلطان على دسيسته بعث الى أولئك الجماعة عسكرا من الشراردة عليهم القائد ابراهيم بن أحمد الاكحل فاجتاحوهم بعد جهد جهيد وقتال شديد من ذلك انهم اعتصموا بربوة وجعلوا يقاتلون على حريتهم وكانوا رماة لا تسقط لهم رصاصة فى الارض فكانوا كلما توجهت اليهم طائفة من الجيش استاصلوها بالرصاص وكانوا يجمعون موتاهم فينصبونهم اشبارا يتترسون به ويقاتلون من خلفه • ولما اعيا الجيش أمرهم حملوا عليهم حملة واحدة حتى خالطوهم فى معتصمهم وجالدوهم بالسيوف وطاعنوهم بالرماح والتوافل وانقطع البارود فكانوا يقتلون ابناءهم ونساءهم بايديهم فرارا من السبى والعار ثم جعلوا يقتلون انفسهم حين تحققوا انهم فى قبضة الاسار • وبعد هذا وجه السلطان ولده سيدى محمد لحسم دائه فى جيش كثيف » (وبعد ان حاول تبرير موقف ملك المغرب بانه كان ينوى اصلاح ذات البين وانما الامير هو الذى التجأ الى الحيلة والغدر) •

قال : « وفى اثناء ذلك عمد الحاج عبد القادر ذات ليلة الى طائفة من جنده نحو الخمس عشرة مائة على ما قيل كلهم بطل مجرب انتقاهم انتقاء وكان جيش الخليفة (أى ابن ملك المغرب) منقسما قسمين بعضهم معه وبعضهم مع اخيه المولى أحمد فصمد الحاج عبد القادر اليهما :

فى ليلة من جمادى ذات اندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

بتلك العصبة الذين هم فتيان الكريهة ومساعير الهيجاء وجمرات الحرب طالما شهد بهم الوقائع وخاض غمرات الموت مع الفرنسيس وغيره فلم يقف بهم الا بين المحلتين واطلقوا الرصاص مثل المطر وارسلوا حراقيات على الجمال وتهاويل مفزعة فماج الناس فى ذلك الظلام الغاسق ونزل بهم من الهول ما يقصر اللسان عن وصفه وقام الخليفة فجعل يسكن الناس بنفسه ويمنعهم من الركوب خوف الفرار وأمر العسكر والطبجية بالرمى بالكور والضوبلى فكانوا يرمون الى جهة محلة المولى احمد ظنا منهم ان العدو لا زال مقابلهم ومحلة المولى أحمد يرمون الى جهتهم كذلك فهلك من المحلتين بسبب ذلك بشر كثير • واما الحاج عبد القادر فانه فر فى اصحابه بعد ان حملوا الكثير من موتاهم معهم وكان للقائد محمد ذكر فى تلك الليلة ولما اصبح الناس وتفقدوا حالهم وجدوا فيهم من الجرحى نحو الالف ومن القتلى ما يقرب ذلك وأصبح حول المحلة من قتلى أصحاب الحاج عبد القادر الذين أجهضهم القتال عن حملهم نحو الخمسين وأسروا نفرا أحياء فشاهدوا من طمانينتهم عند القتل ما قضوا منه العجب ووجدوا عليهم كسى رفيعة مطرزة بالصقلى والحرير ونحو ذلك فقد كان للرجال اعتناء بالجيش كما ترى•ثم ان الخليفة رحمه الله أمر باتباع الحاج عبد القادر فتبعته الكتائب المختارة فكان اللقاء ثانيا بمشرع الرحائل بوادى ملوية قرب البحر عند مسقط ملوية فى البحر فصدمته الجيوش صدمة أخرى فنى فيها كماته ، وكسرت شوكته وفل حده ، وخشعت نفسه وأيس من جبر حاله ففر الى الفرنسيس ولجأ اليه وترك محلته بما فيها فاستولى جيش الخليفة عليها الخ » اهـ • ما قاله صاحب الاستقصا وفاته أن يذكر أن معاهدة ملك المغرب مع الجنرال بيجو اثر واقعة ايسلى كان من جملة بنودها بند ينص على تعهد الملك أن يخرج الامير من بلاد المغرب ولم يكتف بهذا بل جره الى هذا الكمين وعندما حمل عليه بمصب ملوية كان القائد الفرنسى بالحدود الجزائرية على علم فلم يسع الامير الا الاستسلام وقد ذكر فى احدى رسائله للاسقف دبيش ان الذى حمله على هذا الاستسلام هو شفقته على قومه أو ما تبقى منهم الذين أعيتهم المقاومة طيلة 15 سنة والا لكان رغم كل تلك المناورات والمكائد يمكنه النجاة بنفسه الى الصحراء حيث لا يعدم العيش بقليل من التمر والحليب •

وتتميما لموضوع بحثنا نذكر ما سجله بعض الشعراء الشعبيين بايجاز فى هـــذه الاحداث وهى وان كانت توافق رواية « الاستقصا » فى الوجهة الحربية فقد تخالفهـــا فى الاسباب التى ذكرها المؤرخ فالشاعر الاول من المعاصرين لهذه الاحداث وهو الشاعر الشعبى بالمطر من الظهرة ـ أى بين مستغانم وتنس شمالا ـ قال يخاطب جيش الامـــير الذى كان يطلق عليه الخيالة (الفرسان) ·

• زلتكـــم فـوق الزلـة آلخيالـــة   حاكـم فاس اعـلاه اوباه قاللكـــم
معتاها فـوق المحنـــات محنتكـــم

انطحتـوا نطـــح ازغـالا الخيالـــة   راحت ذيك الدنيـا راهبـة منكـــم
منكـم ما قَعْـدَتْ رُجْـــلا آلخيالـــة   باقى الغـــول اهنـايا عاشَرْ اوطنكم
صـــادق شنـــين الحالة آلخيالـــة   اصْحَبْهُـــم وَلاَّوْ ايقاتلـــوا فيكـــم
حاكمهـــم قال للجملـة آلخيـــالـة   تغـدوا مـــن وطنى ولاَّ نعاديكـــم
جـــاب افْزُوعُه كالحملـــة آلخيالـة   ذاك البَـرْ او هـــــذا دايَـرْ بكـــم
مـن قـدّام او مـن الزَّوْلة آلخيالـة   قالوا لي غـــاشى قـــوة افزع لكم
مَتـُّـوا كامـــل بالجملـة آلخيالـــة   اهتـَزْ العـرش العـالى ابْـكى منكم
مـدفنوكـــم رجـــالا آلخيـــالـــة   ما هشْمُـــونى نـــدَّابَات بابْكَاكُـم
جبريـــل عليكـــم صـــلى آلخيالة   رُحتـوا غـُرْبَا وانتمـــا تْوَالِيكـــم
متـــوا فى وجـــه المولى آلخيالـــة   يـا قـوم العـــدنان الله يرحمكـم

فراش :

حاكـم فاس اشريف احقيـــق   واعمـــل هاذى مَا مَنْهَـــاش
اطعن الشـوك اوْخَلاَّ الطريـق   مثـــل الِّي ما يعرفهـــــاش
قلنـــاذا سلطـــان امطيـــق   وتَـــرْنُـه قَلْبُـــه مَغْشَـــاش
راه ارجـــع للرُّومْ اصـــديق   قـال اهْـــنا مـا يَبْقَـــاوش،

هـــذا قـــال اعـدونا واعدوكـــم

جـاب ادشـور مْـع النَّزْل آلحيالـة   مـن سُـوسْ لُوَجْدَة الاسلام غبنوكم
ثَقْبُـوا فيـكم شَعَّالة آلحيالـــة   قالوا لي ابن يحيى طايَـــحْ احذاكم
منكم هذا الوطن اخْـلَى آلحيالـــة   ما شيَّبْ راسي لْكَـــانْ مَرْسَمْكُـــم
دَمْعـــة عـينى هَوْطَالـــة آلحيالـــة   رانى نبكى دِيمـا عابـد احْزَنْكُـــم
منكـم مانى فى حالـــة آلحيالـــة   كى الابْـرار العشرة ظاهـر اشناكم
واكْ انتمـا قتّـــالا آلحيـــالـــة   واكْ انتما دايـــم نايضْ عدوكـــم
أهـــل امْحَاصَنْ تَتْلاَلاَ آلحيـــالـــة   اللَبْسَـــة الزينـة واسْرُوجْ طَبْعُوكُم

فراش :

حاكـــم فاس اعـــلاه اوبـّاه   يعمـــل هـــذا المظلَمَـــة
قاتـل جيش رْســول اللـه   شـوفـوا مَعْتَـاهَـا عَظْمَـة
عـــادىَ مـــولاه وبـَـابـّـاه   ما قعـــدت عنـــدُه حُـرمــة
جـــاب الغيض امقـام اشراه   فـــى سقـــــر الحكمـــــة

غـدوه فى يـــوم الميعـــاد يلقاكم

قـــدام اللـه تعـــالى الحيـالـــة   تشرْعـوه المـــولى شاهـــد عليكم
ما تحضر عنـده حيلـــة الحيـالـة   ما يحلفشى فى القبلـــة ويَبْلَعْكُـــم
يـــوم اجماجـم تتخـــلى الحيـالة   قـــدام النـــاس انتمـا يْخَلّصْكُـم
ضربـت مطبـوع الحـالة الحيالـــة   ولـد الـــزهرة (الامير عبد القـادر)
فى الميدان يندهكم

يوكَـدْ يـــوم ان تَسـلا الحيـالـة   يقتـــل بالعشرة ويـوبَـدْ ابْكَـرْكُم
يعمـــل كى السيـد الْعْـلى الحيالة   مـن عـــديان اللـه هـــو يفرّحكم

ميشـــدوه الجهلـــة الخيالــــة   كى فرحـوا عـديان اللـه برايسكم

ويختم قصيدته بذكر الامكنة التى قصدها جيش الامير ووقعت فيها المعارك .

ولاوا فى بحـــر الحـــلا الخيالـــة   قالـوا لي فى جبل املـــوا عشرتكم

زدتّـــوا غادى بالرحلـــة الخيالـــة   فى ملويـــة خلّيتـــوا امقابركـــم

هربـــتوا لبنى يعـــلا الخيالـــة   اقْصَـدتُّوا زَعْـــمَ الاسـلام تَنْعَركم

انزَلْتـوا فى بُوحَمْلَـــة الخيالـــة   كُنْتُـــوا غاشى قـــوّة فى امْحَلّتكُم

كـــل ليلة تبنـــوا هَالاً الخيالـــة   بَتْقَاصَرْكُـم دَايَـمْ فى اقْوَاطَنْكُـــم

لا تعطـــوا عني غفلـــة الخيالـــة   فى هذيـــك الـدار امنـين نَلْحَقْكُم

فى الابـراج المنـــزلا الخيالـــة   قالـــوا لي بـزاف الحـور ضيفتكم

قال ناقلها : « وهذا ما وجدناه من كلامه رحمه الله » وهذه من اهـــم السجلات التاريخية لهذه الحادثة . ثم نختم هذه الدراسة بقصيدة أخرى للشاعر الشعبى المشهور مصطفى بن ابراهيم الذى تولى القضاء فى العهد الفرنسى ببالعباس وابعدته السلطـات الفرنسية فاقام مدة بفاس فقال عدة قصائد كلها غرر وتعرض فى هذه لحادث الامـير عبد القادر مع ملك المغرب فبعد ما افتتح قصيدته بتصوير حالته فى غربته متشوقا الى وطنـــه قال :

حسراه وِيـــن عرب الجود على اجْواد   جمعوا الجود همّة كلمـــة واصيانا

الـرايْ رايْ وافى كَلْمَـــة ولا ازْيَاد   يرضاوا الموت ولا يبغُوشْ الهـــانا

اخلاق ذا الوطن لا نيف ولا اضْدَادْ   فى السّوق ياكلـوا وعْنَاقى عـريانه

ادْخَلْـــت فاسْ شفْــتْ اسْـوَاقْوا   ميتـــزْتْ مَا صُبْـــتْ ارْجَــــال

بْنَـــاسْ عَامْـــرِين ازنـاقـــوا   الكـــل فى الحْـــرَفْ تَحْتَــــال

ثم يذكر القبائل الجزائرية من حدود المغرب الى مسقط رأسه الزفيزف الى ان يصل الى السرسو ثم يذكر واقعة الامير فيقول :

ساس الكلام معنى نْتْفَكَّر فى البلاد   هـدفوا نْجُوع لِيَ واتــوا معنانا
يوم الزقا يْزيخوا ويْتِيهُوا للطْرَاد   عــلى البــلا تهــد اقْطَاوَرْفتَلنَا
اعلاه يالْغَرْبى تمـزَحْ مَــزْحْ العناد   انتما وسْلَعْكُمْ تَسْوَاوْ افَلْسْ أوْزَانَا

فراش

شتَّى نْجــوعْ مــا نَهْدَرْلَــكْ   يــوم الحيانيــة عــادوا لي
الغـــرب كلتــوجا حـــارَكْ   حــوزى وبَرْبْــرِى والجَبْلى
بفزوعهــــــا الآتَـــــدَّارَكْ   اعْيَاوا مــن القْتَال ابْطــالى
يَوْمَــيْنِ والطْــرَاد امْشَبَّــكْ   نِــيرَانْ شاعْلــة والنصْــلى

ميتــين عــود انتاعــدّة ابْلاَ عْدَادْ   النصف مات الاخرى ذَهْبَتْ هربانا
افناوا كلهـم ساروا للجنــة اشهاد   ماتــوا مْجَاهدين ارضاهـم مـولانا
الِّي مات منكــم جهنــم اخـــلاد   ربى مـع الرسول املايكْتُه غَضْبَانَا

الى ان يقول :

سلطان خانهم واغْدَرْهُـم ذوك الجْوَادْ   على احْكَامْ عبـــدُه ولــــد المْصْنَانَا
صاقوا وعمدوا للوحلـة شور البلاد   بدعوا الشرق وقالـوا نغدوا باعنانا
قالوا حـــرام نبقى معـيرة للـولاد   المــوت كاينــة واعلاشى ذا الهانا

فراش

اتْيَــقَّن الكـــلام اسْتَخْبَــر   أَجِ تْقَصَّـــرْ وسقْصِيـــنى
الغـرب بالكـــذوب امعمــر   مارِيــتْ فيـــه ما يَعْجَبْــنِى
احتـــا رجالنـــا تسعـــد   ســوق الحيــا عليهـــم مبنى

ابك فراق وطنك وافراق أهل البلاد   ابك ارجال تاهــوا فرحــوا معانا
ابك زمان بدّل فرحتنا بالكســـاد   ••••• الــخ

ويختم قصيدته متسائلا هل يمن الله عليه بالرجوع الى وطنه ويجمع شمله بأهله فيقول :

صافا هنا مهــوّل ويحقن بالثمــاد   يــرجى لشمل يجمع لنا مــولانا
يا من درى نروح نَهْدِى غَرْبْ الْفَسَاد   نغدى اشْوَارْ ناسى اذا طـال احيانا

اهـ منظومة مصطفى بن ابراهيم الشاعر الشعبى الشهير الذى لازال المغنون الشعبيون يلحنون قصائده وينشدونها ويتاثرون بها وفى السنوات الاخيرة كانت حياته موضع اطروحة قدمها الاستاذ عبد القادر عزة لجامعة باريس نال بها الدكتورة ·

موقف تونس من احتــلال الجـزائر

نص ما جاء فى تقرير الجنرال BOYER المؤرخ فى 15 يوليو 1831 ·

تقــرير رقــم 1

الجنرال BOYER الى وزير الحــرب

(المحفوظات التاريخية لوزارة الحرب : الجزائر مراسلة ملف 8 : 15 ـ 7 ـ 1831)

سيــدى الماريشــال :

من الاخبار التى اطلعنى عليها كاتب مبعوث تونس وهو الذى كلف بابرام المعاهدة فى الجزائر مع الامين l'intendant en chef Vollant للتخلى عن مدينة وهران لداى تونس فان هذه الاخبار تذكر أن عدد الجيش التونسى المرابط بوهران يبلغ عدده ألفا منهم 300 فارس استولوا على الخيل من السكان منطقة وهران وبعد ان يذكر ثمنها الذى دفعـوه يسترسل فى تقريره ويقول : «ان هذه القوة تحت رياسة القائم مقام أو ملازم lieutenant الباى كان قبل هذا جاء جنرال تونسى الا أنه عندما شاهد نتيجة الفظائع التى ارتكبها الجيش التونسى عند خروجه لقمع سكان البوادى رفض منصبه ورجع الى تونس » ·

انه من الاحسن ان حكومة عظمة ملكنا تقرر ماذا تفعل بالمانتى فـرس التى هى فى حوزة التونسيين حتى يظهر للسكان ان فرنسا حقيقة عازمة على حمايتهم وان الجنـرال حاكم المنطقة الوهرانية يمكنه استثمار هذا الحل ·

ان رئيسين من رؤساء القبائل العربية الذين لهم التصرف المطلق خارج وهــران حيث يتمتعان بالنفوذ التام اعلنوا عداءهم للتونسيين اثر قمعهم البربرى للسكان وهما الحبيب بوعلام ومصطفى بن اسماعيل فهذان الرئيسان يتصرفان خارج وهران وهــم

الذين منعـــوا السكان من معاملتنا فقطعوا عنا التموين فبقدر ما تستعجلون بطـــرد التونسيين ومغادرتهم البلدة تطمئن نفوس السكان » اهـ وقد تعرض الجنرال فى تقريره الذى ذكر فيه أحداث بيعة أهل تلمسان (التى تحدثنا عنها) لملك المغرب لموقف بـاى تونس وهذا نص التقرير :

« تقرير رقم 4 الجنرال BOYER الى وزير الحرب »

(محفوظات الولاية العامة بالجزائر : نقل المحفوظات الحربية) ·

وهران فى 21 سبتمبر 1831 :

(وثيقة تاريخية فى الاحداث التى وقعت فى ولاية وهران منذ نزول الجيش الفرنسى بسيدى فـــرج) ·

يذكر الاحداث التى منها ما تقدم لنا الحديث عنه فهذان الرئيسان يتصرفان خـارج البلدة وهم الذين منعوا الفلاحين بمعاملتنا فقطعـــوا عنا الحطب والتموين فبقـدر ما تستعجلون بارسال التونسيين تطمئن نفـــوس السكان » اهـ كما تعرض BOYER فى تقريره عدد 4 المؤرخ فى 21 سبتمبر 1831 محفوظات الولاية ·

اثر مبايعة سكان تلمسان لملك المغرب وارسال هذا الاخير ابن عمه ثم والى تطوان الخ قال : « فى شهر فيفرى الماضى وصل الى الجزائر القائمقام الذى أوفده داى تونس لاحتلال مدينة وهران بناء على معاهدة الجنرال كلوزيل Clauzel ان هذا الرئيس التونسى كان مصحوبا بـ 250 جنديا ـ فرسان ـ وبعد اقامته مدة بالجزائر ومفاوضاته مع القائد الاعلى ذهب الى وهران مع جيشه وبعد وصوله مكنوه من مال القمارق Deuanes كما مكن من محتويات مخازن الباى حسن ··· ،

القائمقام التونسى استصحب معه جيشا قليل العدد لا يمكنه حماية المدينة ولهـذا بقيت الفرق الفرنسية تحتل المرسى الكبير وحصون وهران ·

فهذا القائد العسكرى التونسى لم تكـــن عنده امكانيات لدفع ما تتطلبه مصاريف جيشه فلم يفكر الا فى ملء جرابه الذى هو جراب الشحاذ ، لم يشاهد سكان وهران مسؤولا بلغ به البؤس والفاقة الى حد أن جنده كان يتسول ونفرق عليه الخبز وكذلك

الجيش الذى كونه من نحو 500 تركى ميليشيا جزائرية ولم يعطهم قـيراط من عنده وبعبارة شاملة فخير الدين (القائم مقام) لم يفكر الا فى مصلحة جيبه والاستيلاء على المال بأية طريقة فقد باع للتجار اليهود الرخص لاصدار الحبوب بنحو 50000 فرنك وهو يتحقق انه يبقى فى وهران حيث ان ملك فرنسا لم يمض على معاهدة كلوزيل كما ان سلوكه الوضيع اثار غضب السكان المسلمين قليل من رؤسائهم وردوا لزيارته أما كبار الرؤساء فلم يقيموا له وزنا فأراد ان ينتقم ولهذا دخل فى صبيحة بعض الايام ونحو 30 راس نسوة وصبيان محمولة على السيوف ونحو 4000 رأس غنم وبقر سرقوها فى طريق رجوعهم من قمع السكان وقد ارضوا اطماع اليهود الذين اشتروا منهم الغنم وباعوها بدورهم الى الاسبان والانكليز بجبل طارق » الخ اهـ · ملخص مـا فى هذا التقرير من فظـائع ·

الخلاصة : ان التضامن الجزائرى ـ المغربى الذى عنونا به هذه الدراسة والتضامن الجزائرى ـ التونسى الذى ختمناها به ، حقيقى ، وانه اثبت وجوده عبر التاريخ · وانما لم يكن هذا التضامن من صنع الولاة والرؤساء بل كان يرعاه أفراد الشعب وفى طليعتهم علماء الدين ، فاثر الاحتلال الفرنسى ، والوقوف المخجل الذى وقفه كل « من ملـك المغرب وباى تونس » كان أفراد سكـان البلدين يتلقون جماعات اللاجئين الجزائريين ويعاملونهم معاملة الاخ لاخيه جاعلين نصب اعينهم ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضـو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أو كما قال ·

ولضيق مجال هذه الدراسة سنخص موضوع التضامن الحقيقى بدراسة أخرى ·

رحلة المرحوم "أبو زهرة" إلى المغرب

وانطباعاته عنها

نشرت مجلة « لواء الاسلام » التى تصدر بمصر بعددها الثالث المؤرخ فى ذى القعدة 1387 هـ الموافق لـ فبراير 1968 م فى ص 139 تحت عنوان « رحلة » للشيخ المرحوم محمد ابوزهرة ضمنها انطباعاته عن بعض المظاهر الفولكلورية والاستبدادية المصبوغة بالدين زورا وبهتانا مثل أمير المؤمنين وغير ذلك ٠ (القسم الاول منها هذا نصه) :

1 ـ « رحلة » (1) ٠

كان مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة يفكر فى الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على انبعاث النور الاسلامى والهدى القرآنى بارسال محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا على أن يكون ذلك الاحتفال جامعا يدعى اليه كبار العلماء فى أرض الاسلام قاصيها ودانيها شرقها وغربها ، ويكون ذلك عقب احتفال وزراة الاوقاف المصرية بهذه الذكرى الطيبة الطاهرة فى حاضرتها القاهرة ، وبقية الحواضر المصرية ، حتى يعم نور الذكرى ريف البلاد وصعيدها ٠ ولكنى كنت استبطىء الاحتفال العام الجامع ، وأجادل اخوانى العلماء فى شأن هذا التأخير ٠

2 ـ وبينا أنا أجادل وأدعو الى التعجيل ، وان كان العام يصلح للذكرى ـ جاءتنى دعوة من حكومة المغرب باسم ملكها ، واني دائما أعتقد أن أرض الاسلام واحدة ، لكل مؤمن حق مشاع فى أى جزء من الارض فى أى اقليم ، ولو كان شبرا ، فسارعت لهذا الاعتبار الى الاستجابة ، وان بعدت الشقة ، وعظمت المشقة ، ووهن العظم ، واشتعل الرأس شيبا ، وهيأت لنا سفارة المغرب بالقاهرة السفر على أول طائرة تقوم من القاهرة ، ولو التوت مسالكها ، وتعرجت طرائقها ، ولم يناسب ميقاتها ، فاعددنا للسفر فى ليلة الثلاثاء 25 من رمضان وخرجنا من منزلنا صباح ذلك اليوم حول الساعة الثانية صباحا ، وقامت بنا الطائرة فى الساعة الثالثة والنصف فى قرور البرد ، عن طريق روما ، وتناولنا طعام الصحور فى الطائرة ، ووصلنا الى روما قبل الشروق ، ومكثنا فى انتظار جيس أكثر من ثلاث ساعات حتى جاءت طائرة فرنسية تحملنا الى نيس المدينة الفرنسية ، ومكثنا ننتظر بها أكثر من خمس ساعات فى مكان ضيق لا نطلع فيه على شىء ولو حاولنا ما تمكنا ولا استطعنا ، وما استطعنا أن نحصل فيه على كرسى نجلس عليه الا بشق الانفس ، وكانت المناظر البشرية تؤذى كل ذى دين وتزعج نفسه .

وبعد طول الانتظار ، وعدم القرار جاءت الطائرة ، فارتفعنا اليها ، واستطعنا فى زحام ، وبعد جهد ان نجد الكرسى الذى نتمكن من الجلوس عليه ، ثم وصلنا الى مرسيليا ، ومكثنا ننتظر فى مطارها نحو نصف ساعة ، ثم عدنا الى الطائرة التى كنا بها ، وسارت بنا ميممة وجهها شطر الرباط فوصلنا فى نحو السادسة وتناولنا طعام الفطور فى الطائرة بعد أن تحرينا وقت غروب الشمس ، أى بعد الثامنة حسب توقيت القاهرة .

3 ـ نزلنا الى المدينة العامرة الطيبة ـ الرباط ـ فوجدنا فى استقبالنا مندوبا أرسله ملك البلاد ، فأحسن استقبالنا وصحبنا الى فندق ضخم يطيب النزول فيه ، واسمه (فندق حسن) ، فأزلنا غبار السفر ، واسترحنا قليلا من وعثائه ، ثم نمنا نوما هادئا طيبا عميقا ، ورد الله به علينا ما وهبنا من قوة إنه القوى العزيز اللطيف الخبير .

التقينا نحن الوفود الاسلامية من علماء الشرق ، وجاء الى رسول الملك ، وأسر الى ان الملك سيجىء الى الوفود الاسلامية ليرحب به بشخصه ، فقلت ان الأليق أن نذهب نحن اليه ، لا أن يجىء هو الينا .

وفى مساء ذلك اليوم الاربعاء 26 من رمضان آقام لنا سفراء الدول الاسلامية وليمة التقينا فيها بعلماء الاسلام ، وممثلى الدول الاسلامية فان بجواره شهى الحديث المتبادل . ولو كان مقتصرا على تناول الطعام وكان بجواره شهى الحديث المتبادل المعـــلن للوحدة الاسلامية والمشاركة فى السراء والضراء والبأساء .

توالت الايام من بعد ذلك ، ففى يوم الخميس 27 ، كان اجتماع مـع وزير الخارجية المغربية ، وقد بين منهاج الاجتماعات ، وليس فيها قيام مؤتمر يتذاكر فيه العلماءحال المسلمين ، وما يجب نحو القرآن، بل كان فيه استعراض للعلماء أمام التليفزيون يتحدث فيه كل مدعو نحو دقيقتين أو أكثر قليلا ، ثم مذاكرات من بعد ذلك فى جامعة الرباط ، لا تتجاوز ان يتكلم بعض مريدى الكلام، وكان الوقت مطلقا ابتداء ، ثم قيد بخمس دقائق واستطعنا فى هذا الاجتماع أن نتكلم بضع عشرة دقيقة فى شان القرآن ، والسبيـــل للمحافظة عليه بالاجتماع،والاخذ بتعاليمه التى استنبطها السلف،ولنا أن نستنبط منه ومن سنته ما تدعو الضرورة الى استنباطه وعلى أن يقوم الحكام بتنفيذ أحكامه ووضحنا القصد فى ذلك ... ولقد علمنا أن بعض ذوى الشأن وفيهم بعض الوزراء اعتبرونا جامدين ، لاننا رفضنا ما يسمى تطوير الشريعة ، فان كان ذلك جمودا فنعما هو ، ونحن نـادى بــه هنـــا .

4 ــ فى مساء الخميس (27) من رمضان التقى بى الرجل الطيب الكريم وزير الاوقاف هنالك ، وقال لى : ان رجالات العلم من الوفود سيوزعون فى الاقاليم ، كل عالم يلقـى فى حاضرة اقليم ، فبعضهم فى الدار البيضاء ، وبعضهم فى طنجة ، وبعضهم فى فاس . الى آخر الاقاليم .. ولعل ذلك اتباع لنظام ــ القاهـرة ــ ولا فرق الا أن ــ القاهـرة ــ كان فى علمائها غناء اغناها عن الاستعانة بغيرهم ، وذكر لى أن الملك أى (أمير المؤمنين كما يسمونه) اختصنى بأن ألقى فى المسجد الاعظم بحضرته ، فقبلت ذلك شـــاكرا وذهبت ، وصليت فى ذلك المسجد ، وكان الخطيب ممتازا فى خطبته والقيت الكلمة بعد الصلاة ، ولم يتيسر حضور الملك ، فأرسل مدير ديوانه وبعض الامراء ، وكان موضوع كلمتى « المجتمع الاسلامى » ، وحق العدالة فيه بشعبها ومنها العدالة الاجتماعية ، وحق توافر الكرامة الانسانية لكل انسان من غير نظر للونه أو جنسه أو دينـــه ، وبينت

تحرير الاسلام للعبيد ، وتحريمه الرق فى الجملة ، ثم بينت التعاون الانسانى فى الاسرة والمجتمع الصغير ، ومجتمع الامة ، والمجتمع الانسانى ، وقد استغرقت المحاضرة ساعة وثلاثة أرباع الساعة ·

ثم اشتركنا فى بعض المذاكرات اذ لم يكن هناك مؤتمر بالمعنى الحقيقى أو القريب منه ، كما نرى فى المؤتمرات ، التى يعقدها مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة ، بل انها احتفالات وولائم تتخللها أحيانا مذاكرات ·

5 ــ وفى يوم الاحد دعينا الى الدار البيضاء من قبل أحد اثريائها ، فأجبنا داعيه ، ووجدنا ذلك البلد الامين أجمل بلد رأيناه ، هو على سيف المحيط الاعظم ، تتخلله الحدائق الغناء والقصور الفخمة ، ولا شىء يقتحمه النظر ، حتى قال لنا قائل : انه لا خيال يشبهه الا فى سويسرا ونحن نسير فى الطريق اليها ، ما كنا نرى الا الخضرة عن اليمين والشمال ، لا فرق بين جبال شامخة وسهول منبسطة ، ووديان منحدرة ، وأكام مرتفعة بل كلها بساط أخضر سندسى منسق يعلو وينخفض ، ولا ينقبض عنه النظر قط · والاجام والغابات تتخلله ، وأشجار الزيتون مبثوثة فيه كالعمائم الخضراء وقد تمتد حتى كف جانبيه ، وأثمار الفواكه دانية متدلية ·

ولا نريد أن نسترسل فى ذكر جمال ما رأينا ، حتى لا نبعد عن الحقائق ·· قضينا شطرا من الليل فى ذلك البلد الجميل ، ثم عدنا بعد هزيع منه ، فوجدنا رسالة فى الفندق من قبل السيد وزير الاوقاف ، يقول لى : ان الملك يرغب فى أن أتحدث فى التليفزيون غدا فى الساعة التاسعة والنصف ليستمع الى هو وأسرته ، اذ فاته سماعى بالمسجد ، فتقبلت ذلك شاكرا راضيا ، وكان ذلك الحديث فى مساء يوم الاثنين يوم عيد الفطر ·

6 ــ وفى ذلك اليوم خرجنا فى الصباح الى خارج الرباط حيث أقيم للصلاة فسطاط كبير ، حضره الملك وقد استقبلناه نحن المدعوين وقد نبهت الى انى اذا حييت الملك برفع يدى كالمعتاد ، فسيحيينى بوضع يده على صدره ، وكان ذلك كما قيل لى ··

جاء الملك يركب جوادا مطهما حوله ستة جياد مثله ، ويحف بجواده طائفة كبيرة من السود ، **قالوا انهم عبيده ! !**

صلينا ثم حييناه ، وقد ذكرنى عند تحيته بحديث التليفزيون فى التاسعة والنصف ·· وفى نحو التاسعة وثلاثة أرباع تحدثنا فى التليفزيون ، وكان موضوع الحديث

« الخلق الاسلامى ، والتربية الاسلامية » تكلمنا فى العبادات واثرها فى البناء الاجتماعى والارتباط الوثيق بين الضمير الاسلامى وهذا البناء ، ثم عرجنا على العدالة الاجتماعية ، والترابط بين آحاد المجتمع والجماعات الانسانية ، ومكث الحديث خمسا وخمسين دقيقة • وفى اليوم التالى الثلاثاء الثانى من شوال ، كانت التشريفات الملكية فى صباحه الخطبة أمام الملك ••

7 ـ عندما عدت من التليفزيون فيما بعد الحادية عشرة ، وجدت بعض العلماء يقول لى انهم اجمعوا على أن أكون أنا المتكلم عليهم أمام الملك فى وقت التشريفات ، فاعتذرت وقدمت الاستاذ (عبد الحميد السايح) لمقام جهاده ، ولانه وزير بالاردن •••

وفى ساعة التشريفات جاء الى وزير الاوقاف ، وقال لى : أنت ستخطب والا ستفهام تقريرى ، فقلت له ـ سيتكلم الاستاذ السايح ، فقال لا مانع من اثنين فقلت انى مقصود وقد يكون فى الموضوع سياسة ، وأنا أبغضها ، فقلت يضم اليه الاستاذ عبد الله غوشه وهو قاضى القضاة فى مرتبة وزير ، فقال لا مانع من ثلاثة فقلت الاستاذ نديم الجسر مفتى طرابلس بلبنان ••

تنفست الصعداء ، لانى تخلصت من الخطبة وقد يسأل سائل لماذا هذا التخلص ، وأقول فى الاجابة عن ذلك قامت لدى أسباب منها :

أ ـ ان فى طبيعتى انقباضا نفسيا ربما لا يعرفه الكثيرون وأن هذا الانقباض يمنعنى من الكلام الا لحاجة دينية أو علمية •

ب ـ انى لا أعرف كيف يخاطب الملوك •

ج ـ انى رأيت ان ارادتى للكلام سياسة ملكية ، وأنا لا أريد أن أكون أداة سياسية مطلقا •

حمدت الله تعالى على انى لم أخطب ، وما ندمت على ذلك مطلقا ، ولكن فقدت النظرة العاطفة التى كانت تحوطنى ، وانى لم أفقد حسن المعاملة وقد خطب الملك خطبة رحب فيها بالعلماء وخص الدكتور حته عبد الرحمن بالذكر ، وقيل من بعض العلماء ان ذلك رد على الامتناع من الخطبة •

تعاقبت الاحوال بعد ذلك ، وقد زادتنى اطمئنانا الى ما صنعت ، وفى مساء يوم الثلاثاء كان حفل شاى أقامه الملك ، وفيه وضع فى عنقى ، وعنق كبار العلماء نشان

كتب عليه انه تقدير الكفاية الفكرية ، وما شعرنا انه رفعنا بذلك ، واننا لو منعناه ما نقصنا شيء ٠

في يوم الاربعاء ثالث أيام العيد طلب الينا أن نزور قبر الملك ـ محمد الخامس ـ فزرناه ، ووجدناه قطعة من الفن الزخرفي ، الارض مبسوطة بالصدف ، والجدران محلاة به ، وأما السقف فالزخرفة فيها بلغت حد الخيال ، ولم أجد في قبور أسرة محمد على عندنا ما يدانيها ولكن هذا القبر لم يرض به الملك الحالي ـ الحسن الثاني ـ قبرا لابيه ولاجداده ، فبنى لهم في أرض متسعة ربما وصلت الى فدانين قبرا فيه الطنافس والزخارف التي تتجاوز حد الخيال في البهاء والمنظر ، وقد اخذنا في تقديره نحدس ونقدر فما اهتدينا ، وسألنا مسؤولا عما قدر له في ميزانية المغرب ، فقال لنا انه قدر له ابتداء ثلاثة ملايين من الجنيهات وليس للقارىء أن يظن اني ندمت لاني لم الق الخطبة بل انني رضيت عن نفسي من غير غرور ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

وفي مساء ذلك اليوم كان حفل **يسمى عندهم حفل الولاء** ٠ أخذنا اليه ووقفنا حول ميدان واسع، وجاء اليناريس الديوان يقول لنا « ان جلالة الملك سيحضر راكبا الجواد ، ويمر على ممثلي الاقاليم والعبيد يقولون « ربنا يطول عمرك يا سيدى » فيقول ممثلو الاقاليم (آمين) وممثلو الاقاليم قد صفوا صفوفا كل صف يمثل اقليما ، وعدد الصفوف يصل الى ما يقل عن خمسة عشر ، وقدجاء الملك راكبا جواده ، وحوله السود **الذين سموهم عبيدا** ٠ تقدم الى الصف الاول ، فدعا أولئك دعاءهم ؛ **فركع ذلك الصف ركوع الصلاة كاملا** ثم ذهبوا ، وتقدم الى الصف الثاني ، ثم الثالث ، والدعاء متوال ، **والتامين الراكع ركوع الصلاة** متوال مثله حتي أتمها ، **وكانه لا يكتفى بالركوع الجماعى من الصفوف ، بل لابد من أن كل صف بمفرده يركع ثم يذهب موزورا غير ماجور** ٠

عاد الملك بعد ذلك ، وبعد أن استوثق من الولاء الراكع وهو على الصفوف ، والسيدة التي خصها بالثناء تلوح بيدها تحية واكبارا وقد وضع يده على صدره ردا على التحية بمثلها وأنا واقف مشدوه العقل ، ويدى لم ترتفع هذه المرة والعين متجهة الى ٠

وأرجو الا يظن أحد من ابنائي اني ندمت لامتناعى عن الخطبة ، لانى لم أفهم السياسة بل انى زدت اطمئنانا لتوفيق الله ، ولكنى مع ذلك جزعت من بعد ان فكرت وقدرت

احوال المسلمين ، وما آلت اليه أمورهم اللهم املا قلوبنا عـــزة بعزتك وارفع نفـوسنا برفعتك ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا ٠

رحلـة ـ 2 ـ

انتهينا من رحلتنا الى أرض المغرب الى ما رأيناه مما **حز فى نفوسنا من حفل الولاء الراكع الذى اظلمت الدنيا برؤيته فى عينى** ، وكان العجب من أمرين :

ـ أولهما ـ **تلك الطائفة التى سموها عبيدا ، وهم اخوتنا فى الانسانية وفى الاسلام وانه لا رق بعد أن أصبح الناس لا يسترقون** ، اذ قد وضعوا فى قانونهم انه لا رق فى هذه الايام ، وان من حق الانسان فى كل الارض قاصيها ودانيها أن يكون حرا ، وبذلك لا يكون فى الحروب استرقاق قط، ولا رق فى الاسلام الا فى الحرب التى يسترق فيها الاعداء أسرى المسلمين ويكون استرقاقنا من قبيل المعاملة بالمثل ، اذ أن الله تعـــالى يقول : **« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين »** (سورة البقرة آية 194) ٠ **ويقول تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين »** (سورة البقرة آية 190) ٠ **ولا شك اننا اذا فرضنا الرق على اسراهم وهم لا يفرضونه نكون قد اعتدينا ، والله تعـــالى لا يحب المعتدين ، اذن فلا رق بحكم الاسلام فى هذه الايام الا أن يكون من قبل النخاسة وهى اثم لا يرضاه الله تعالى** ، ولا شرع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يرضاه خلق دينى أو اجتماعى ومن يعاونه آثم موزور ٠

وقد قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومـن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطى ذمتى ثم غدر ، ورجل باع حرا وأكل ثمنه ، ورجـل أستأجر أجيرا ولم يعطه أجره » ٠

ولا شك أن هذا الذى يخاصمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بائـــع الحر ، يشاركه كل المشاركة المشترى الذى يعلم انه حر ، وانه لم يقم به سبب الرق ٠

فهل يرضى بهذا من ينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شرع ، **لا حول ولا قوة الا بالله** ٠

2 ـ الامر الثانى : **ان يقبل الملك ذلك الولاء الراكع وهو ينتسب الى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمية ، والى على بن أبى طالب الذى كان وهو الامام يسير بين الناس كاحدهم والذى حرق بالنار من سجدوا له** ، ثم هو ينتسب اليها عن طريق الحسن أول الاثنين من شباب أهل الجنة ، وهو الذى كان تذهب به قوة الايمان وفرط تواضعه الى أن يسير الى الحج ماشيا ونجائبه بجواره ، فانه يروى فى صحاح السنة انه كان يمشى فى طريق الحج ونجائبه تقاد الى جنبه ، فقيل له الا تركب يابن بنت رسول الله ، فقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اغبرت قدمه فى سبيل الله تعالى لم تمسسه نار جهنم » .

هؤلاء عترة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نريد أن يكون حاضرهم كماضيهم ، وأن تكون ذريتهم صورة من أخلاقهم ، ليكونوا حجة على الناس ، وليثبت بالعمل ذلك النسب الرفيع ، وذلك الشرف الكريم ، نريد أن تكون أعمال اشرافنا صورة مزكية للاسلام داعية ، ترد كيد الكائدين عنه ، ولا تغرى ظالما باتباعهم ، اننا نريد رفعة العترة المحمدية النبيلة عن قالة تسر ممن لا يرجون للاسلام وقارا ، ولا لنبيه محمد خير الانام اخلالا وتقديرا .

3 ـ هذه أمور شاهدناها ـ ذكرناها وما أردنا بذكرها الا تذكيرا ، ولنلقى على أنفسنا المؤاخذة على تقصيرنا ان سكتنا ، ولنقضى العهد الذى أخذه الله على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه وانا لا نبغى الا كلمة الحق ، ما أردنا المال ولا ابتغيناه ولا طمعنا فيه لان الله سبحانه رزقنا الرزق الوفير ، وأعطانا العطاء العزيز ، ونكفر بنعمة الله ان اعترانا طمع والله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور .

ولقد علمت من بعد ذلك أمورا غريبة عجبت كيف تحدث فى بلد اسلامى .

أول هذه علمته من ابنة عالم جليل عرفته بعلمه ولم أسعد برؤية شخصه ، ذلك هو العلامة الشيخ الحجوى الثعالبى عالم المغرب وفقيهه .

ذلك أننا انتهزنا فرصة وجودنا فى طنجة ، وزرت مع صحب كرام جبل طارق ذهب صاحباى الى شراء امتعة من سوق الجبل وأخذت أنا أجوب طرقاته متفصحا الوجوه حتى تعبت ، فجلست فى مقهى ارشدانى اليه ورأيت ما ألقى بالحسرة فى قلبى على الاندلس

فردوس الاسلام المفقود ، فرأيت أكثر من فى الجبل وجوها عـربية وأجساما عـربية ، فايقنت انهم سلالة العرب ، بقيت صورهم ، وحالت قلوبهـم ، بالاكـــراه النصرانى وبالوحشية التى ارتكبها المعذبون • والتى تذكر الى اليوم بالهمجية الاوربية التى مـا زلنا نراها فى أمريكا وغيرها ، من همج الانسانية الذين يسمون انفسهم متحضرين أو مؤمنـــين •

4 ـ وبينا نحن عائدون على الباخرة الى طنجة ، وجدت سيدة كريمة وزوجها ينظران الي ، وكنت فى مجلسى على مقربة منهمـا ، ثم تحـــدثا الى فقالت لى السيدة فى أدب واحتشام ، أأنت فلان ؟ فقلت نعم، ومن أين علمت ؟ قالت رأيتك ـ فى التلفزة ـ وأردت أن أتحدث اليك لان أبى عالم وله كتب ، فقلت فما كتبه ؟ فذكرت لى كتابا أنا قرأتـه وانتفعت به فى علمى وفى كتبى التى كتبتها ، وهو كتاب « الفكر السامى فى تاريـخ الفقه الاسلامى » للشيخ الحجوى الثعالبى ••

فقلت لها انت ابنة ذلك العالم الجليل العظيم ، فقالت نعم ، فسألتها أهو حى ، وذلك لازوره ، فقالت هو مات مقاربا المائة ، ولكنه مات محدودا مقترا عليه فى الرزق ، لان أمواله كلها صودرت فى عهد الملك ـ محمد الخامس ـ بعمل أحـــد تلاميذ الشيخ ، اذ اتهموه بالخيانة وادعوا ولاءه للفرنسيين ، مع انه كان فى سن لا تسمح لـه بالتفكير فى السياسة وقد أصابه خوف الشيخوخة فعلمت انها فتنة السياسة ، لا تقدر الانسان ، ولا فضل العلماء ، ولا السابقات المكرمات التى تغفر الهنات بل السيئات ، ثم قلـت لها : لا حول ولا قوة الا بالله ، ولكنها استرسلت هى وزوجها الكريـم فى القـــول ، فقالت : « ولما مات دفن فى مسجد قد بناه أخوه ، وتلك عادة معروفة بين أهل المغرب ، فمنعوا الناس من الصلاة فى هذا المسجد امدا غير قصير ، ثم جاءوا ونبشوا قبـــره ، ونقلوا جثمانه الى المقابر العامة !! » أثر فى نفسى أن يحارب ذلك العالم الجليل فى رزقه حيا ، حتى يموت وهو محروم معثر ولكن اللـه أكرمه بالموت ، حتى يستـر فقره ، ولا يكشف عواره ، ثم اذا قبضه الله تعالى اليه لا يرهبون الموت ، فينبشون قبره ، مـــا الذى يدفعهم الى هذا ؟ فقال زوج السيدة الكريمة ، لانه قد استوزره الفرنسيون فكان وزيرا للعدل فى عهدهم ، فهلا علموا انه كان يمكن أن يقولوا عفا الله عما سلف ، وان

يعرفوا ان الوطنية رحمة ، وليست ارهاقا ، وان له من سننه ما يوجب العفو ، ولكن هكذا النفوس غير المتحرجة ، ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

5 ـ ولقد علمت أمرين آخرين زاداني ألما ، ورفقا على صفو هذه الرحلة الجميلة ٠

أحدها : انه عند نكسة العرب فى حـــرب يونية سنة 1967 أقام اليهود الافراح ، واناروا متاجرهم بالاضواء البراقة ، وعم ذلك مدائن المغرب الاسلامى العربى ، فغاض ذلك المؤمنين فهبوا مستنكرين ، والتحموا باليهود الذين يتحدون العــرب والمسلمين ، فى أرضهم وديارهم ، فتجردت الحكومة الاسلامية العربية لتفض ذلك التصادم وكانت تقبض على المؤمنين ، وتزج بهم فى غيابات السجون ولا تقبض على يهودى ، حتى زالت الاضطرابات وبذلك جعلت كلمة اليهود هى العليا فى أرض عربية مسلمة ٠

الامر الثانى : انه بعد أن أطفأت تلك الثـورة التى أوجدها التحدى الصارخ رأى التجار المؤمنون أن يعملوا عملا اجدى من اثارة الاضطرابات ليتقوا الفتــــن ، وليتقوا السجون التى فتحت أبوابها لهم ، وهو عمل مشروع وذلك بأن يقاطعوا التجار اليهود ويقتصروا على معاملة المؤمنين واذا كان ذلك يؤدى الى خسارتهم ماديا ، فانه يملأ نفوسهم بالاحساس بحق الايمان عليهم ، وانه لعوض معنوى ، عمــا يخسرونه مــاديا ، ولكنهم فوجئوا من ولى الامر بأنهم ستصادر أموالهم ان اقدموا وكان التهديد ممن لا يستطيعون اعتراضا على قول له ٠

لقد حز ذلك فى نفسى وقلت قول الحق ، ان الشعوب مؤمنة ، ونضرع الى الله العلى القدير ، ان يصل ايمان الشعوب الى قلوب الكبراء ، وان لم يمكن ذلك فان الامر لله ، وهو الذى يملك تغيير الاحوال ، ولقد قال سبحانه « لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (سورة الروم آية 5) ٠

6 ـ رأينا فى المغرب ما سرنا وما ضرنا ، فكان ما سرنا شارح لصدورنا ، وما ضرنا تمنينا معه أن تزول اسبابه ، وتنقشع غمته ، وانا لنرجو ان تكون سحابة صيف عمــا قريب تقشع أن المغرب بلد جميل فيه شعب طيب « بلدة طيبة ورب غفور » ٠

جمال ما رأيت له نظيرا ، وقال كثيرون ممن يعيشون فى أوربا انه ليس مثله ، فى أوربا كثيرا جبال خضر ، ووهاد سندسية والزيتون مبثوث فى كل قطعــة من الارض والطرقات مسقة تنسيقا هندسيا رائعا ، فيلتقى فيها جمال الطبيعة بجمال الصنعة ٠ اللهم متع المسلمين بديارهم واملأها بالعزة والكرامة فلا عــزة الا عــزتك ولا ولاية الا ولايتك ، وانت وليهم فى الدنيا والآخرة ٠ اهـ

منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

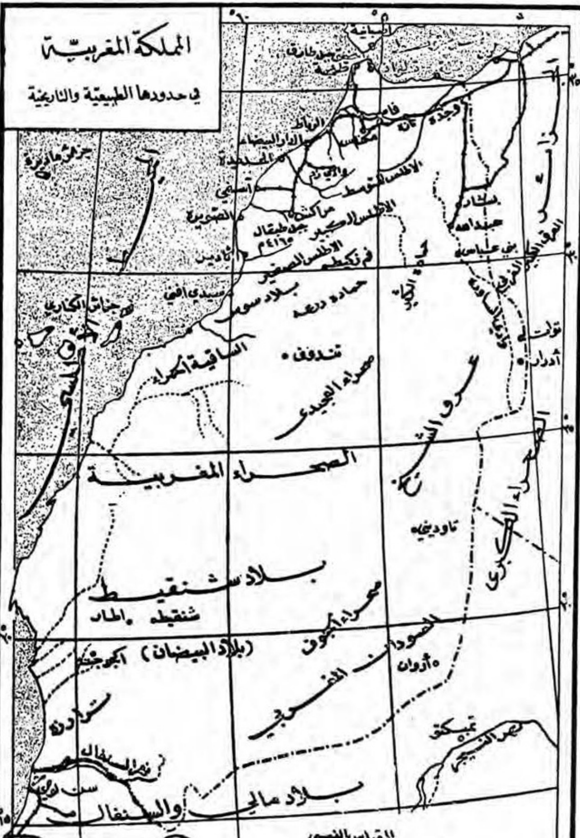
صدر أخيرا:





في 5 مجلدات (بالعربية)

الامبـراطوريـة المغــربية كما يتخيلها



خريطة نشرت في المدرسة توضـــع
المغرب الكبير كما يدعى العرش العلوي

لنظام العلــوي فى المغــرب

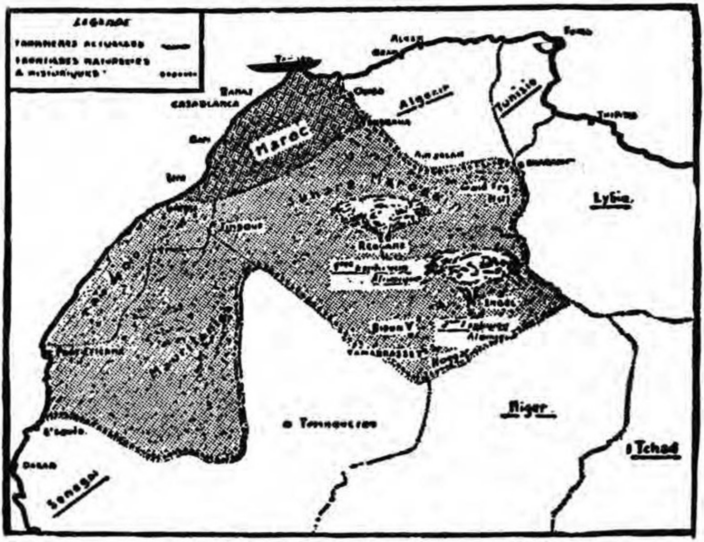
ان السياسة التوسعيــة المغربية ظهــرت فى صلب برامــج التعليم ومخططات الاحــزاب العميلــة للملك ، وعلى سبيــل المثــال يمكن تتبــع هاتين الخريطتــين اللتــين تدرســان فى المدارس المغربية بصفة رسميــة وتتضمن ما يسمى بالمغرب الكبــير والمملــكة المغربيــة فى ـ حــدودها الطبيعيــة والتــاريخيــة ـ ·

وهذه الخريطة تتضمن ضم الصحراء الغربية وموريطانيا الى نهــر السينغال ، ومن جهة أخرى مجموع الصحراء الغربية الجزائرية بما فى ذلك مدننا بشار ، العبادلة ، بنى عباس وأدرار التى توجد داخل المغرب ، وبطبيعة الحال تتحول تندوف الى مدينة مغربية ، وتتضمن هذه الخريطة ايضا جزءا هاما من مالى وبالخصوص مدينتنا ودانى وأوران ، هذا هو المغرب الكبير الذى تعلمه مدارس الملك للاطفال المغاربة ، بكيفية رسمية علنية ·

وهناك مثال آخر على النوايا التوسعية يظهر فى الخريطة الثانية وهى منشورة مــن طرف حزب الاستقلال الذى أعلنت صحافته أن « الجزائر لا تشكل أمة » ·

ويتضمن المغرب الكبير لحــزب الاستقلال الصحراء الغــربية بمجموعها موريطانيا ومجموع الصحراء الجزائرية الى غاية الصحراء الليبية ·

هكذا يتضح أمــام جميع الناس أن الحسن الثانى يرمى من وراء غزوه للصحراء ، لتنفيذ أول مرحلة من مخطط توسعى سيعرض المنطقة بل القارة الافريقية كلها الى الخطر وأنه يسعى لضرب وحدة الشعوب العربية فى المغرب لاشباع نهمه الاستعماري ·



خريطة نشرتها جريدة ـــ الاستقلال ـــ

الساقية الحمراء

ماضيا وحاضرا

ننشر فيما يلي نص الندوة حول الصحراء الغربية التي نظمها المركز الثقافي الاسلامي بالعاصمة لتوضيح حقيقة الدعاوى المغربية في الموضوع • وشارك فيها الاساتذة : المهدى البوعبدلى ، ومولاى بالحميسى ، ويحيى بوعزيز .

المهدى البوعبدلى

عضو المجلس الاسلامى الاعلى

ــ الجزائر ــ

ان هذه الناحية كانت لها صلة بالحضارة من فجر التاريخ ، وبالضبط من العهد الحجرى ، كما تدل عليه الاكتشافات الاثرية ، كما لعبت دورا عظيما فى الحياة السياسية والاقتصادية ، وبلغت ذروة المجد التى خلدها لها التاريخ ، لم تحلم بها كثير من دول بلاد العالم . ان دورها فى الميدان الاقتصادى يرجع الى أن مناجم الذهب التى حبتها بها الطبيعة كانت أجود أنواع ذهب العالم . وقد رأينا انها كانت قوافل التجار ترد اليها فى العهد الاسلامى من مختلف عواصم البلاد الإسلامية . وقد ذكر البكري فى معرض حديثه عن قلعة بنى حماد التى ورثت مركز عاصمة المغرب العربى اذ ذاك القيروان ، بعد سقوطها ، قال فى وصف القلعة : « وهى

اليوم مقصد التجار ، وبها تحل الرحال من العـــراق والحجـــاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب » الخ . وقد ذكر كثير من المؤرخين ان هــذه القوافل كانت تقصد بلاد الذهب .

واننى سأنتقى بايجاز فى هذه الدراسة المحدودة تاريخ هذه المنطقة، وموقعها ، وما آلت اليه ، من فجر تاريخها الى أوائل القرن الجـــارى . واننى من الآن أقول : ان هذه الناحية التى شاهدت عبر تاريخها الطويل الاهوال والحروب والغزوات ، احتفظت بسيادتها ، وقاومت كل معتــد من القبائل المجاورة لها ، ملوكا وشعوبا . واستحال استقلالها فى العصور الاخيرة الى استقلال داخلى ، اعترف به كل المؤرخين ، مسلمين واجانب، حتى بعض وزراء المغرب بعد استقلاله ، كما نبين ذلك .

كانت هذه المنطقة فى أول عهدها ، يسكنها الحراطين والســـود ، وحوالى القرن الرابع قبل الميلاد احتلتها قبائل صنهاجة ، وقد ادركهم الفتح الاسلامى بها ، كانت هذه القبائل تتكون من لمتونة ومسوفـــة وقدالة ، وقد وصلتها كتائب عقبة بن نافع الفهرى فى ولايته الثانية سنة 62 هـ .

اشتهرت هذه الناحية بالغنى والرفاهية ابتداء من القرن الثـــانى الهجرى الى أواخر القرن السادس. وقد عرف كثير من المؤرخين والرحالين هذه الناحية مع اختلاف بسيط فى المواقع الجغرافية ، واسماء القبائل ، ذكر المؤرخ Henri Terrasse فى الجزء الاول مـــن كتابه « تاريـــخ المغرب » الذى كان يدرس بثانويات المغرب ، عند حديثه عـــن دولـــة المرابطين الصنهاجية ، قال : « وقد عرف الصنهاجيون بعد الفتوحات الأسلامية بالملثمين ، وكانوا متفرقين من غدامس الى المحيط الاطلنطى، ومن جنوب المغرب الى السنقال والنيجر ، وفى القرن التاسع الميـــلادى كانت جموعهم تشمل لمتونه ومسوفه وكانوا يجوبون الصحراء ، وحينئذ

اتخذوا اوداغوست قاعدة حكمهم ، وقد نظموا التجارة بواسطة القوافل التى كانت تصل الى صحراء مصر » الخ .

وعرف البكرى أوداغوست هذه فقال بعد أن بين موقعها ، وذكر أن بها مساجد ، فى جميعها معلمون للقرآن ، تعرض لوصف سكانها فقال : « وهم أرباب نعم جزيلة ، وأموال جليلة ، وسوقها عامر الدهر كله ،... وتبايعهم بالتبر ، وليست عندهم فضة ، وبها مبان حسنة ، ومنازلهم رفيعة » . ثم يذكر دورها الاقتصادى فيقول : « وذهب أهل أوداغوست فى عشر الخمسين وثلاثمائة تين يروتن رجل من صنهاجة ، وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان ، كلهم يؤدى له الجزية » اه .

واما الحياة اليومية الحضارية لسكان هذه المنطقة ، فقد تعرض لبيانها الشريف الادريسى الذى بعد أن وصف سكانها .بانهم يعملون الاكسية الرقاق والثياب الرفيعة ، وان أهلها يربون شعور رءوسهم قال : « ولهم بها اهتمام وحفظ وذلك انهم يصبغونها فى كل جمعة بالحناء ، ويغسلونها فى كل جمعة مرتين بدقيق البيض ، وبالطين الاندلسى ... انهم أرفه الناس واكثرهم خصبا » الخ .

وقد كانت هذه الامارات وقواعدها تتغير حسب الظروف الصحراوية وطبائع الرحل . وقد ذكر بعض الجغرافيين الفرنسيين (الجغرافية الجديدة لافريقيا الشمالية) ان هذه المنطقة كانت فى العهد الاسلامى تسمى بسوس ، الذى كان ينقسم الى ثلاثة اقسام :

- سوس الادنى وقاعدته تارودانت .
- سوس الاوسط وقاعدته تيزنيت .
- سوس الاقصى ويشمل وادى نون والساقية الحمراء .

وقد تعرض للتعريف بهذه الناحية الكاتب الخبير المتخصص فى دراسات المدنيات الصحراوية الرائدRobert Montagneفى تأليفه «حضارة الصحراء» La civilisation du désert طبع هاشيت 1944 قال :

« فى عهد المرينيين دخل عرب المعقل الى هذه الناحية أى الساقية الحمراء ، وكان النظام الذى احدثوه شبيها بنظام الجزيرة العربية ... وابتداء من القرن السادس عشر كانت الساقية الحمراء مركزا لانطلاق الدعوة الدينية فى كامل شمال بلاد المغرب العربى » ثم قال : « ان الملوك السعديين هم الذين حاولوا ضم هذه النواحى فاحتلوا سنة 1581 بلاد توات ، ثم اعانوا القائد جوذر سنة 1591 فى غزوه لتنبكتو ، ورغم امداد الارسالية العسكرية طوال ثلاثين سنة بنحو 25000 جندى ، فقد اندمجوا فى السودان ، ولم يخلفوا أى اثر ، اذ كانت هذه الغزوة فاشلة لم تنجر منها أية فائدة لمن قاموا بها ... » ثم قال : « كان فى ظاهر الامر المعقل هم المسيطرون على تلك النواحى ، ولكن فى الحقيقة والواقع كان النفوذ لصنهاجة ، والقبائل التابعة لها ، مثل التوارق – ابناء عمومتهم – وقبائل الرقيبات الباقين الى الآن بوادى الذهب . وكان الفضل فى السيادة التى احتفظ بها سكان هذه المنطقة الاصليون يرجع الى النفوذ الدينى ، والسلطة الروحية ، اذ كان التكوين الروحى تحت سلطتهم ، وكثيرا ما كانت السلطة الروحية تتغلب وتتقوى على سلطة السيف والعصبية القبلية . ومن آثار هذا التفوق انه عندما ثار الشيخ ماء العينين فى أوائل القرن العشرين (يقصد اعلانه للجهاد سنة 1909 عندما غادر للابد الساقية الحمراء والسمارة اللتين اقام بهما من سنة 1884 الى سنة 1909) عند ما أعلن الشيخ ماء العينين اجاب نداءه كل سكان موريطانيا الزرق، : عرب وبربر ، والتحق بهم سكان جبال الاطلس ، الذين كانوا من انصار دنيويين » ثم قال « ورأينا كيف ختم هذا الفصل،

أى تأثير السلطة الروحية ، عند محاولة الهيبة ولد الشيخ ماء العينين عزل ملك المغرب عبد العزيز فكانت معركة سيدى بوعثمان التى لقيته فيها جنود الكولونيل مانجان Maugin وهو فى طريقه الى فاس . وكانت سببا فى رجوعه الى مراكش سنة 1912 » اهـ .

وقال المؤرخ الفرنسى Cornevin فى كتابه (تاريخ افريقيا ـ طبع 1966 فايو باريس) بعد ان تعرض لذكر أحداث بداية استيلاء الفرنسيين على بعض الجهات من الصحراء قال : « ان هذا الاحتلال كان سببا فى تجمع عصابات اللصوص بالساقية الحمراء سنة 1909 التى فارقها ماء العينين واعلن الجهاد بتيزنيت ـ التى التجأ اليها ـ ونصب نفسه ملكا ، وان الفضل فى الحيلولة بينه وبين امانيه ، يرجع الى الجنرال موانى Moinier الذى حاربه بتادلا سنة 1910 كثير من المؤرخين اعتنوا بذكر هذه الاحداث وبترجمة مسهبة لحياة الشيخ ماء العينين الذى كان له نفوذ مطلق وقيادة روحية متوفرة الشروط ، فقد كان من اكبر دعاة الاسلام وتعاليم الدين ، فكان يؤلف ويعقد مجالس الوعظ والارشاد ، وكانت القبائل التى انظمت اليه ورافقته الى تيزنيت قبائل شنقيط وكنتة وعريب وتاجكنت واولاد دليم ، كان عبد الحفيظ اذ ذاك بمراكش خليفة لاخيه عبد العزيز ، ولما رأى استنكار الرأى العام المغربى لاستهتارات عبد العزيز واحتلال الفرنسيين لوجدة والدار البيضاء ، نادى بالجهاد واستعان بعلماء مراكش الذين اذاعوا النداء الممضى عليه من جميع الاعيان والاشراف ، كما استعان بابن الشيخ ماء العينين ، تبنى عبد الحفيظ حركة الدعوة الى الجهاد لمعارضة الاحتلال الفرنسى ونال أمنيته حيث عزل عبد العزيز أو تخلى عن الملك بدل جراية قدرها ثلاثة آلاف فرنك شهريا وبمجرد تولية عبد الحفيظ وافق على ابرام معاهدة الحماية سنة 1912 وكاتب اثرها دول حلف الجزيرة ليعترفوا

بملكه . وفى هذه الاثناء كان أحمد الهيبة بن ماء العينين حصل على بيعة قومه وجهز جيشا عرمرما لاعانة زعيم الدعوة الى الجهاد عبد الحفيظ ، والزام عبد العزيز بقبول حكم العزل ، فبلغ ذلك عبد الحفيظ ، فمنعه من اللحاق به الى فاس ، اذ كان ابرم المعاهدة ، وادعى ان سبب منعه هو الخوف عليه من الفرنسيين .

ولنرجع الى موقف ممثلى دول حلف الجزيرة،فقد اتفقوا على الاعتراف بعبد الحفيظ بشروط ، منها : تحمل دين أخيه عبد العزيز ، والجراية التى تعهدوا بدفعها له ، أى عبد العزيز ، وتبرئه من الدعوة الى الجهاد التى أصدرها صحبة علماء مراكش . كان راس أعضاء الحلف ممثلا فرنسا واسبانيا ، وتبعهم الباقون ، الا المانيا ، فانها اقترحت أن يستبدل بند التبرؤ من اعلان الجهاد بالدعوة الى الهدنة .

هذه أوضاع هذه المنطقة المتصلة فى عهدها الاخير بأحداث المغرب ، تلك الاحداث التى كان السبب فيها تكالب الدول الاستعمارية طيلة أواخر القرن المنصرم الميلادى ، وكان من نتائجها تقاسم مناطق النفوذ داخل المغرب وخارجه ، وذلك كله لضعف الحكومة الصورية المركزية ، خصوصا فى عهد عبد العزيز ، وان فقد الامراء والملوك نفوذهم وسلطتهم ، فكان رؤساء الدين يتمتعون بثقة الجماهير ، كالناصريين أصحاب زاوية تامجروت واحساين أو الهاشمى بتزروالت ، وماء العينين بوادى الذهب . وكدليل على ضعف الملوك اذ ذاك انه بعد معاهدة المغرب مع اسبانيا تلك المعاهدة المعروفة بمعاهدة تطوان ، وكان البند الثالث منها تعهد فيه المغرب ، بتمكين اسبانيا من الصحراء . ولما تولى الحسن مكان أبيه المتوفى سنة 1873 زاره وفد اسبانى يذكره بانجاز تعهداته ، فتعينت لجنة من الطرفين ، المغربى والاسبانى ، وامتطت باخرة اسبانية اسمها Blascode Garay فوقع اختيارها على ناحية

ايغنى ، وعندما رجع الوفد المغربى أخبروا ملكهم الحسن الاول ما رابهم من وجود تاجرين انكليزيين لهما اتصال وثيق بقبائل آيت عمران وبالشيخ حساين فتوجس الملك منهم خيفة حيث انهما بائعا سلاح . فجهز الملك جيشا عرمرما يتركب من 40 ألف جندى من بينهم 17500 جندى مدرب ،ومعهم ثلاثون مدفعا ، ولما وصلوا الى ايليغ حيث يوجد رباط الشيخ ، امتنع الشيخ من استقبال الملك وارسل لمقابلته ولده ، فحاصر الملك ايليغ ، ولما خشى من نفاذ الزاد اذ قاطعه السكان ، رجع من حيث أتى ، وكل ما قام به هو هدم أسوار البرج القديم ، وسبق للملك الحسن انه عند ما كان وليا للعهد بمراكش وبلغه ان الشيخ حساين يدعو سكان سوس لخلع طاعة الملك ، جهز جيشا وقصد به تيزنيت فتعرضت له قبيلة جزولة ومنعته من الوصول الى تيزنيت .

وهذان الحادثتان يذكرهما المؤرخون للاستدلال على أن أكثر القبائل كانت لا تخضع للسلطان ، ونفس القبائل التى كانت تتصل به كانت تحتفظ باستقلالها الداخلى ، وانما تعترف بالسلطة الادبية ، وهذا ما حققه المؤرخ الشهير المختار السوسى وزير الاوقاف فى عهد الاستقلال فى كتابه « ايليغ قديما وحديثا » لما تكلم على سوس .

ومما يؤيد ما ذكرناه البحث القيم الذى نشره احمادو محمادو « بمجلة الجغرافية والآثار » التى تصدر بوهران فى عددها المؤرخ بمارس 1932 تعرض فيه « لامارة ءادرار » قال : « بين وادى نون وبين ولاتة والشاطىء الاطلنطى توجد ءادرار ، التى كانت حد الاتصال بين المراكز التجارية للصحراء الغربية » الى أن قال : « اشتهرت مدينة ءادرار التى كانت تابعة للمنطقة المشهورة فى عرف بلاد المغرب ببلاد السيبة (اى لا تنالها أحكام السلاطين) كانت القبائل التى تحكم هذه الناحية من سلالة يحيى بن عثمان ، ويسمون بالجعافرية ومعهم قبائل

غيلان والعويسيات بتاقنت اتوارث الجعافرية . حكم هذه الناحية مدة قرنين ، وكانت الحروب بينهم وبين سكان امارة الترارزة تارة ، وتارة مع اولاد دليم ، ثم اولاد سالم القبيلتين العربيتين اللتين انتقلتا الى زمور بعد مفارقتهما للساقية الحمراء ووادى درعة اثر حروبهم مع الرقيبات » الخ . اهـ

ولنختم هذه الدراسة بانه ابتداء من القرن العاشر الى الاحتلال الفرنسى ، كل المؤرخين يطلقون على ملوك البلاد الذين تعاقبوا ملوك الشرفاء ، الا ان هؤلاء الملوك لا يعترف بعضهم لبعض بصحة نسبهم، ومن ذلك أن مؤسس الدولة العلوية محمد بن الشريف العلوى بعث اليه محمد الشيخ السعدى عند ضعف الدولة كتاب « مناهل الصفا » للوزير الفشتالى و « الممدود والمقصور » لابن القاضى ، فاجابه العلوى بقوله : « ولا معول على كتاب الفشتالى ، ولا ابن القاضى ولا ابن عسكر الشريف الشفشاونى ، وسواهم ، اذ الكل أهل بساطكم ومحل مزاحكم وانبساطكم » . وقد هجا الثائر ابن أبى محلى أحد انصار السعديين ، كان الملوك السعديون يرونه من أبناء عمومتهم وكانوا فى أواخر عهدهم ينضوون تحت لوائه وكان ابن أبى محلى يضيق بجميعهم ذرعا ، خاطبه بهذه الابيات :

أيحيى الخسيس النذل مالك تدعى   بزور شعارا للفحول الاوائل
كدعواك فى بيت النبوءة نسبة   وأنت دنىء من أخس القبائل
ووجهك وجه القرد قبح صورة   ورأسك رأس الديك بين المزابل

كان مصير أحمد الهيبة من أسرة الشيخ ماء العينين اثر الاحتلال الفرنسى اعلانه الثورة والجهاد واحتلاله لمدينة مراكش ، وعندما نجح الفرنسيون أقام بتارودانت والتجأ الى جبال الاطلس ، وكان داعية ضد

الاستعمار طيلة الحرب العالمية الاولى الى أن مات بكردوس تاركا خلافته ورياسة زاويتهم الى أخيه مربى ربو ، وفى سنة 1934 لما أحس بعجزه عن مقاومة تقدم الفرنسيين ، التجأ الى المنطقة الاسبانية رغم الاغراءات والوعد والوعيد .

الى هنا انتهى ، واننى على العادة سأنشر دراسة فيها مزيد من البيان والتفصيل بمجلة الاصالة ، وننبه المستمعين الى أن كثيرا مـن الاحداث التى ذكرتها أفرغت فى قوالب مزيفة ، وذلك ان كثيرا من الملوك كانوا يستميلون رؤساء القبائل على وجـه الصداقة والتعاون عـلى تذليل الصعوبات والتتلمذ لهم حتى اذا اجيبوا لرغباتهم يصورون للملا ان ذلك الاتصال كان برغبة من أولئك الرؤساء ليبرهنوا على طاعتهم وولائهم .

الإحتلال الإسبانى للساقية الحمراء ووادى الذهب

م. بالحميسى

ـ ما يسمى اليوم بالصحراء الغربية مقاطعة واسعة (270.000 كم مربع) أى نصف مساحة فرنسا تقريبا يحدها المغرب شمالا ، والجزائر شرقا ، وموريطانيا جنوبا ويمتد ساحلها على نحو 700 كم . ويتركب البلد من الساقية الحمراء شمالا ووادى الذهب جنوبا . والاغلبية من السكان من الرقيبات واشتهروا بتربية المواشى والتنقل عبر الصحراء وهم أغنى وأقوى سكان المنطقة ومنهم القواسم فى شرق البلاد ورقيبات الساحل فى غربها . اما الجنوب فيقطنه أولاد دليم .

ويروى أن الساقية الحمراء نزل بها ـ فى القرن الثالث عشر ـ قوم من المعاقل قدموا من الشرق مارين بالجنوب التونسى والجزائرى والمغربى ثم استقروا بوادى تارجا المعروف بالساقية الحمراء وهو أول الصحراء كما قال البكرى .

☆ ☆ ☆

وحتى نتتبع خطوات الاسبان وهم يحققون أغلى الاحلام ، يجدر بنا ان نعود الى الوراء ، الى الفتـرة التى سبقت عصر نشـاط الاستعمار الاوربى .

كان الاوربيون ـ وفى طليعتهم البرتغال والاسبان يتاجرون عـلى الساحل الافريقى الغربى وذلك منذ القرن الخامس عشر ـ وقد اكتشفوا أشواقا على شواطىء وادى الذهب فكانت أرباحهم مشجعة على التعرف بهذه الناحية .

وفى سنة 1402 اكتشف رائدان وهما جـان دى بتانكور ودياقو دى مريره جزر «الخالدات» التى وقعت فى قبضة الاسبان منذ 1479 . ومنها راحا يتعرفان على ساحل الصحراء ثم على داخلها وقد حصلا على امتيازات من طرف الاهالى . وبعد ذلك أسست سلسلة من المراكز للمراقبة .

وكان القرن التاسع عشر عصر تقسيم القارة الافريقية عندما اشتد التنافس بين الدول الغربية .

ـ انعقد مؤتمر فييانا سنة 1815 وأقر سيادة انقلتيرا التى كان لها التفوق على غيرها على البحار والمحيطات وفى مقابل هذا الدور وافقت بريطانيا على اعادة توزيع الممتلكات الاوربية مع تمسكها بحظ الاسد .

وكانت المستعمرات الاسبانية ـ فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ـ هامة جدا . فان أفلتت من يدها امريكا الجنوبية فانها ما زالت تحتفظ بكـوبا وبرتوريكو والفيليبين ومراكز بالمغـرب وبافريقية

السوداء ولهذا كانت اسبانيا ـ فى هذه الفترة ـ دولة استعمارية اقوى من فرنسا .

الا أن انحطاط البلاد فى الميدان الاقتصادى ، والاضطرابات الداخلية المتواصلة جعلت اسبانيا عاجـزة عن القيام بـدور الوطن الام فتسرب النفوذ الانكليزى والامريكى فى العديد من المستعمرات .

ـ وتضاعفت محن افريقية فى النصف الثانى من القرن الماضى . وقد تعرض مؤتمر برلين (نوفمبر 1884 ـ ففريى 1885) لمشكل المستعمرات التى أصبحت لها أهمية كبرى فى العلاقات الدولية . وكانت الغاية من انعقـاد المؤتمر ايجاد حـل لاقتسام افريقية الوسطى عندما اشتدت الخلافات بين فرنسا وبلجيكا حول الكانقو وبين فرنسا وانكلتيرا حول النيجيريا والتشاد وبين انكلترا والمانيا حول الجنوب الغربى والجنـوب الشرقى لافريقية فيما بين 1884 و 1892 .

ولعل القارىء الفاضل يتساءل كيف تم التقسيم وما هـى مقاييس التجزئة وهل هناك أسس لهذا الاستيلاء الشامل ؟

لقد تم اقتسام القارة بين الدول الاوربية دون مراعاة اية صلة بين مختلف العناصر البشرية أو فئـات السكان أو اعتبـار مصالحهم وانما انقضت نسـور الاستعمار بنـاء عـلى مصلحة الغربيين فقط وحسب انشغالاتهم الخـاصة ومراعاة لاحوالهم الداخلية ومشاكلهم الخـارجية وامكانياتهم الصناعية .

ولذا تقرر «تشريح» افريقية فى أوربا اتباعا لقواعد التعويضات الدولية ...

وتقرر أيضا الاحتلال الفعلى للمناطق والاستيلاء الحقيقى على ما تبقى من بلدان مستقلة آنذاك .

✡ ✡ ✡

وبعد 1870 يدخل المخطط حيز التنفيذ . وتتسابق فرنسا وايطاليا واسبانيا فى بسط نفوذها فى القارة بينما تحتل انكلترا جزيرة مالطة وجزيرة قبرص (1880) .

وهكذا تسلط الاستعمار الفرنسى ــ بعد الجزائر ــ على السنيغال 1856 الى 1864 وعلى تونس 1881 وعلى تنبكتو 1894 وعلى موريطانيا 1898 ــ 1900 .

واحتلت ايطاليا الحبشة والصومال فى 1889 .

وكانت الصحراء الغربية من نصيب اسبانيا . ففى سنتى 1884 ــ 1885 انتهت المغامرة وبدأ الاحتلال الرسمى وتأسست لجنة «ريجيا» للصحراء وأنشأت اسبانيا مدينة فيلاسسنيروس (الدخلة حاليا) وضمت البلاد اليها مبدئيا ...

وانتضمت المقاومة وقام زعيم يعرف بماء العينين ــ مقره مدينة «السمارة» ــ يقود الحروب على الدخلاء .

(ويقوم ابنه بعده سنة 1910 ويدعو لنفسه سلطانا على المغرب ويحتل مراكش ... وتهزمه الجيوش الفرنسية بعد معارك ضارية) .

وتستنجد الواحات الجنوبية بسلطان المغرب وذلك ما بين 1891 و 1899 غير أن هذا الاخير عجز عن القيام بواجبه نحو المسلمين .

ــ ومما لفت انظار الاسبان فى الصحراء ــ غداة الاحتلال ــ هى تجارة الذهب وكانت رائجة ولذا تعددت المؤسسات التجارية تحميها

مراكز عسكرية بينما أهملت السلطات الحاكمة داخل البلاد ولم تبال به في المرحلة الاولى .

✡ ✡ ✡

وحدث تحويل محسوس ـ في القرن الحالي ـ داخل الصحراء . ففي مطلع القرن استفادت اسبانيا من «تفهّم» بريطانيا التي تركت لها حرية التصرف في هذه المنطقة كما استغلت «الحياد العطوف» من طرف ايطاليا فحققت مطامعها على وادى الذهب سنة 1900 والساقية الحمراء سنة 1904 .

وهكذا أبرمت فرنسا واسبانيا معاهدة ـ في 27 جوان 1900 ـ مفادها ضبط الحدود الجنوبية بين موريطانيا ووادى الذهب تلك الحدود التى تنطلق من الراس الابيض وتطلع شمالا الى أن تلتقى بالخط 21 درجة و 20 دقيقة عرض شمالى .

وكانت سنة 1904 سنة حاسمة بالنسبة للمنطقة . ففى مقابل تنازل فرنسا عن مطامعها المصرية لكى تبسط نفوذها على المغرب الاقصى . حصل اتفاق سرى بين باريس ومدريد يجعل الساقية الحمراء أرضا اسبانية .

✡ ✡ ✡

وكان الوجود الاسبانى في الصحراء ـ خلال المرحلة الثانية ـ يهدف لا للاخذ بيد الاهالى للوصول بهم الى الاستقلال ـ بل كان كل تطور تعرقله سلسلة من المراعات والتحفظات وامتنعت اسبانيا ـ وهى تحذو حذو البرتغال في المستعمرات ـ من أى تعامل مع العنصر المحلى فى الميدان السياسى عملا بالمبدأ «الابوى» المسيطر على عقلية الغربيين ..

ومع هذا فان الاسبان لم يحتلوا من الصحراء الغربية سوى النقاط المفيدة مثل السواحل لِماَ للبحر من خيرات عجيبة فى هذه الناحية وحول مناجم الفسفات ببوقراع ثم امتدت يدهم لسمارة سنة 1934 .

وكان جماعات مسلحة تضايقهم وتضايق المراكز الفرنسية ، فأجبرت الدولتان الفرنسية والاسبانية على القيام بعمليات عسكرية ضد المواطنين واسست مدينة العيون سنة 1958 وأصبحت عاصمة المستعمرة .

وعندما اتسعت رقعة الثورات فى افريقية لم تسلم المستعمرات الاسبانية مثل فرناندوبو وغينيا الاسبانية وكانت بها معارك وكان بها عنف واستسلمت الدولة الحاكمة فى آخر الامر فمنحتهما الاستقلال فى 12 اكتوبر 1968 . وبقيت الصحراء الغربية تحت نير الوجود الاجنبى وقد جنت عليها ثرواتها الطبيعية فنزلت بها الويلات تلو الويلات ...

حقيقة مطالب المغرب الأقصى التاريخية حول الساقية الحمراء ووادى الذهب

يحيى بوعزيز

الواقع التاريخى للمنطقة :

لقد كان من نتائج الفتح الاسلامى لاقليم شمال افريقيا الغربى ، أو جزيرة المغرب كما يعبر عنه المؤرخون المسلمون فى العصر الوسيط ، استعادته لوحدته السياسية التى فقدها خلال العصر الرومانى البيزنطى . وكان أهم شىء قدمه الحكم الاسلامى لهذا الاقليم وحدة اللغة والعقيدة . ويعتبر تأسيس مدينة القيروان على يد عقبة ابن نافع وقواته ، ايذانا بتصميم المسلمين على تركيز الحكم الاسلامى بهذه البلاد ، ومد نفوذه الى المناطق النائية غربا الى الاندلس ، وجنوبا الى اعماق الصحراء وما وراءها .

فتوغل عقبة بن نافع فى ولايته الثانية جنـــوبا الى اقليـم السوس الادنى ، وسيطر على بلاد المصامدة ، ومدن : مامشا ، ونفيس ، وأغمات . وقيل انه وصل الى مدينة نول على شواطىء الاطلس ، والى مواطــــن التكرور بغانة القديمة أو غينيا الحالية ، وأخضع عنـــاصر المسونيين الملثمين ، وأسس فى مواطنهم بعض المساجد ، وادى عمله هذا الى فتح طرق التجارة الى مدينة أودغشت على اطراف بلاد السينيغال الحالية .

وبعد عقبة بمدة قدم الى هذا الاقليم موسى بن نصير فاتبع سبيل عقبة الى الصحراء وشن على شواطىء المحيط الاطلسى انطلاقا من أقليم السوس الى وادى درعة ، واخضع سكان المنطقة وأسس بعض المساجد أو أصلحها فى اغمات ، واقنع السكان بالايمان والتصديق بالدين الجديد .

وعندما قامت دولة الادارسة فى المغرب الاقصى اصطدمت باللمتونيين الملثمين ، واضطرت ان تحول اتجاهها نحو الشمال والشرق الى المغرب الاوسط فى حين تحالف اللمتونيون فيما بينهم ، وشرعوا فى التوســع والزحف نحو الجنوب لنشر الاسلام ومد نفوذهم الى هناك بعض الوقت قبل ان يتحولوا الى الشمال ويكتسحوا كل المغرب الاقصى، ونصف المغرب الاوسط الى حدود مدينة الجزائر الحالية فى اطار الدولة المرابطة التى انطلق زعيمها الروحى عبد الله بن ياسين ، وأمـــيرها الزمنى يحيى ابن ابراهيم الجدالى من رباطهما بمنحنى نهر النيجر ، أو السينيغال، على الاطراف الجنوبية للصحراء الغربية أو السينيغال الحالية .

وعندما قامت الدولة الموحدية بزعامة عبد المؤمن التاجرى فرضــت سيطرتها على كل المغرب العربى الشمالى من طرابلس الغــرب شرقــا الى طانجه وسواحل الاطلس غربا ، وعلى كل الصحراء الغربية الجنوبية التى تشمل اليوم مالى ، وموريطانيا ، والساقية الحمراء ، ووادى الذهب ، وشمال السينيغال .

وبعد سقوط دولة الموحدين انقسم اقليم المغرب العربى الكبير على نفسه وتكونت فيه ثلاث دويلات متناحرة متحاربة فيما بينها هى : الدولة الحفصية بتونس ، والدولة الزيانية بتلمسان ، والدولة المرينية بالمغرب الاقصى . وانفصلت الصحراء الغربية وقامت بها امارات محلية اختلفت قوة وضعفا وعمرا ، من ضمنها مملكة مالى ، ومملكة الصنغاى التى ستصطدم باطماع ملوك المغرب الاقصى السعديين ، فالعلويين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى ، فى أطار حملة أحمد المنصور السعدى أواخر القرن 16 ، وحملة المولى اسماعيل العلوى أواخر القرن 17 م . اللتين يستند عليهما المغرب فى مطالبه الحالية .

فما هى حقيقة هاتين الحملتين ؟ وما هى أهداف سلاطين المغرب من الحملتين ؟ .

حملة أحمد المنصور السعدى
وحقيقة مطالب المغرب الاقصى التاريخية حاليا :

ان بذور اطماع المغرب الاقصى فى الصحراء الغربية ترجع الى عهد المرينيين . وعندما قامت الدولة السعدية فى مطلع القرن 16 ، عجزت عن طرد الاسبان والبرتغاليين من موانى المغرب التى يحتلونها ، واصطدمت بصمود سكان المغرب الاوسط (الجزائر) ، وحزم الادارة التركية الناشئة به ، فاتجهت بانظارها وأطماعها نحو الصحراء جنوبا . وكان السلاطين السعديون ينعتونها ومن ضمنها الساقية الحمراء ووادى الذهب ، ببلاد « السيبة » على اعتبار انها بلاد خارجة عن نطاق حكمهم وسيطرتهم ، ويكلفون قبائل المخزن الخاضعة لهم بغزو هذه المناطق وغنم ما بها من أموال وبشر باعتبارها مصدرا للثراء . فترتكب الاعمال الوحشية كالقتل ، والتشريد ، والمصادرة الجماعية ، رغم أن السكان مسلمون .

ومن الصدف أن السعديين لم يتجهوا لغزو الصحراء الا بعد أن عجزوا عن طرد الاسبان والبرتغاليين من موانى الشمال ، وعجزوا عن النيل من تراب الجزائر والمغرب الاوسط ، وان ملك المغرب اليوم لم يقم بغزو الصحراء الغربية الا بعد أن فشل فى طرد الاسبان من مدن سبتة ومليلية ، والجزر الجعفرية وحجر باديس ، وعجز عن النيل من تراب الجزائر عام 1963 .

ومن أهم الاغراض التى دفعت أحمد المنصور لغزو الصحراء الغربية طمعه فى خيراتها التى تتوفر عليها خاصة مناجم الذهب ، ومقالع الملح ، وريش النعام ، والابنوس التى كانت من أهم صادرات المنطقة . وكذلك العبيد السود . تماما كما فعل اليوم ملك المغرب الحسن الثانى عندما اندفع بجيوشه الغازية الى المنطقة طمعا فى استغلال خيراتها وثرواتها المعدنية كفسفاط بوكراع ، وسمك المحيط .

ومن الصدف كذلك أن تجار المغرب الاقصى آنذاك عارضوا حملة أحمد المنصور ، مثلما يعارض اليوم الشعب المغربى غزو الحسن وقواته للاراضى الصحراوية ، لانهم تأكدوا ان الغزو العسكرى لا يؤدى اطلاقا الى نشاط التجارة ، ولا السيطرة على مناجم الذهب ، ومقالع الملح ، بل الى العكس تماما . وصدقت نبوءتهم .

وقد استغل احمد المنصور خلافه مع مملكة الصنغاى حول واحة تغزة التى تشتهر بانتاج الملح الذى يستغله المغاربة ليشتروا به التبر ، والعاج ، وريش النعام ، فقرر شن حملة عسكرية خرجت من مراكش عام 1590 بقيادة رجل اسبانى يقال انه أسلم ويدعى جودار باشا ، وكان عدد جنودها أربعة آلاف شخص وقيل عشرون ألفا ، بينهم عدد كبير من المسيحيين ، والاسرى ، والعبيد . تماما كما فعل اليوم الحسن الثانى

عندما اعتمد على القوات الاسبانية فى احتلال المنطقة الصحراوية : الساقية الحمراء ووادى الذهب .

اتجهت حملة المنصور الى الساقية الحمراء ، واخترقت شنقيط الى أعماق الصحراء حتى وصلت الى واحة جاو عاصمة مملكة الصنغاى ، وواصلت سيرها حتى وصلت الى مدينة تمبوكتو وتمركزت بها عام 1591 ، واضطر ملك الصنغاى اسحاق الثانى ، واتباعه أن يعتصموا بالمناطق الجبلية لتنظيم المقاومة ضد هذه القوات المغربية الغازية بعد معركة تونديبى المهولة .

لقد حققت هذه الحملة العسكرية المغربية نصرا عسكريا مؤقتا ، وغنمت ، على ما قيل ، حمولة ثلاثين بعيرا من تبر الذهب ، الامر الذى جعل أحمد المنصور يلقب بالذهبى، وغنمت اموالا أخرى متنوعة استغلها المنصور فى استصلاح موانى المغرب الشمالية كالعرائش ، وفى تطوير صناعة السكر باقليم السوس . غير أن هذه الحملة فشلت فى تحقيق الاحتلال الكامل والدائم للمنطقة ، واقتصر نفوذ رجال الحملة وأولادهم واحفادهم فيما بعد على واحة جاو ، ومدينة تمبوكتو ، واعتمد قوادها فى تعينهم بمناصبهم الباشاوية على الجنود وعناصر السكان بالواحة ، ولم يكن لسلاطين المغرب الا سلطة اسمية رمزية عليهم ، وصاروا يحملون لقب الباشا تقليدا لباشوات الجزائر ، من جودار باشا الى آخر عهدهم ، وبقوا يحتفظون بمظاهر السلطة على هذا الشكل حتى عام 1780 ثم اختفوا وانقرضت امارتهم وظهرت سلطات محلية فى هذه المنطقة وفى الساقية الحمراء ووادى الذهب ، وشنقيط ، برئاسة زعماء محليين .

ومن الصدف أيضا أن أحمد المنصور تقرب من الانجليز والهولنديين للحصول على الاسلحة الضرورية لحملته الغازية ، فى نفس الوقت الذى

كانت فيه الجزائر تقاوم ببسالة القرصنة الاوروبية وغزواتها المتوحشين في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ومن ضمنهم الانجليز والهولنديون والاسبان ، والفرنسيون . تماما مثلما حدث اليوم عندما تحالف ملك المغرب مع الاسبان والفرنسيين والامريكان ضد الشعب الصحراوى فى الساقية الحمراء ووادى الذهب ، وعادى الجزائر التى تقاوم التسلط الامبريالى ، وتؤيد حق تقرير المصير لكل الشعوب بما فيها الشعب الصحراوى .

وبعد موت أحمد المنصور تنازع ابناؤه الثلاثة : زيدان ، والمأمون ، وأبو الفوارس ، على السلطة ووراثة العرش ، واستعان المأمون بالاسبان ضد أخيه زيدان بفاس . وسلم اليهم ميناء العرائش بعد أن استصدر فتوى من علماء فاس تجيز تسليم أرض اسلامية للنصارى الكفار مقابل فداء أحد أحفاد الرسول . ولم يتورع المأمون فى كشف خطة مسلمى الاندلس الرامية الى استعادة بلادهم الاندلس بتأييد ومساعدة من الجزائر ، مما دفع ملك اسبانيا الى اصدار قرار التشريد المشهور عام 1610 الذى ادى الى طرد كل من بقى من المسلمين بالاندلس بصورة متوحشة ومرعبة .

هكذا كان أحمد المنصور وابناؤه عونا للاوروبيين المسيحيين ضد مسلمى الاندلس ، وضد سكان الصحراء ، وضد الجزائر ، وضد وحدة المغرب العربي الكبير التى كان يتمتع بها فى صدر الاسلام ، وخلال عهد الموحدين . تلك الوحدة التى سعت الجزائر خلال العهد التركى ، أن تبعثها وتعيدها من جديد وحتى اليوم ، ولكن ملوك المغرب الاقصى السعديين والعلويين عارضوها حتى اليوم .

حملة المولى اسماعيل العلوى

لقد قامت الدولة العلوية فى مطلع القرن 17 ، وكان من ابرز ملوكها المولى اسماعيل الذى حكم المغرب أكثر من نصف قرن (1672 ــ 1727 م) ، فجدد أطماع أحمد المنصور ونظم حملة على المنطقة الصحراوية مما يدل على فشل حملة أحمد المنصور . غير أن هذه الحملة كانت أقل ضخامة وعدة من الحملة السابقة ، ولم تستطع ان تتوغل كثيرا الى اعماق الصحراء واكتفت بفرض سيطرتها المحدودة زمنا ومكانا على الساقية الحمراء وشمال وادى الذهب ، وشنقيط (موريطانيا الحالية) . واستعان المولى اسماعيل بجيش (العبيد البخارى) الذين أخذوا من الصحراء زمن أحمد المنصور وبعده ، وكان من ضمن أهدافه فى هذه الحملة كذلك تجنيد المزيد من السود قسرا فى المنطقة الصحراوية ليستخدمهم كسلفه المنصور فى قواته الغازية للنهب والسلب والخطف فى المنطقة الصحراوية أو «بلاد السيبة» كما كانوا ينعتونها ، وفى الاعمال الشاقة بشمال المغرب .

وكما حصل لحملة أحمد المنصور فانه بمجرد أن اختفى المولى اسماعيل تقلص نفوذ المغرب من الساقية الحمراء ووادى الذهب وشنقيط ، واستقلت هذه المناطق برئاسة الزعامات المحلية للقبائل الصحراوية . وبقيت على هذه الحال الى أن زحف عليها الاستعمار الاوروبى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ووزعها كقطع الشطرنج . وكان من نصيب فرنسا ما يسمى اليوم بموريطانيا الى جانب مالى والسينيغال ، وكان من نصيب اسبانيا الساقية الحمراء ووادى الذهب .

تلك هى خلاصة المطالب التاريخية في هذه المنطقة التى لا تستند ، كما رأينا، على أى أساس معقول أو مقبول، استنادا الى منطق التاريخ نفسه :

أولا : ان سيطرة الموحدين على هذه المنطقة اذا أمكن اعتبارها مبررا كما أدعى ملك المغرب اليوم فان الجزائر أولى بالمطالبة لا بالمنطقة الصحراوية فقط ، وانما بالمغرب الاقصى نفسه لان منشىء الدولة الموحدية وبطلها الكبير عبد المؤمن بن على جزائرى أصلا ومنشأ .

ثانيا : ان سيطرة سلاطين المغرب على المنطقة الصحراوية تقتصر فقط على جزء من فترة الحملتين العسكريتين السابقتين لاحمد المنصور ، والمولى اسماعيل أما قبل ذلك وبعدها فكانت المنطقة مستقلة ما عدا فى صدر الاسلام وعهد المرابطين والموحدين الذين يعتبر عهدهم تاريخا لكل المغرب العربى ، وليس للمغرب الاقصى وحده . واذا فما يدعيه اليوم ملك المغرب هو حق مشاع بين دول المنطقة ومنها الجزائر . اذا جاز أن نساير هذا المنطق ونسلم به .

ثالثا : عندما شن أحمد المنصور ، والمولى اسماعيل حملتيهما على هذه المنطقة الصحراوية لم تكن شاغرة ، أو « بلاد سيبة » كما ينعتونها بالمغرب الاقصى وانما كانت بها ممالك وامارات وطنية محلية على غرار كثير من مناطق العالم فى صدر عصر التاريخ الحديث . تماما مثل ما هو الحال اليوم عندما غزاها ملك المغرب اذ يوجد بها شعب بلى بالاستعمار الاسبانى المتعصب ، المتقوقع ، الجامد .

رابعا : ان حملتى أحمد المنصور والمولى اسماعيل لم تنجرا من أجل الدفاع على هذه المنطقة وحمايتها أو نشر وسائل التحضر فيها وانما من أجل النهب والسلب والغنم للاموال والثروات ، ومن أجل استرقاق أهلها كعبيد لخدمة مصالح قصور السلاطين بالشمال ، وكم هى تلك الجرائم الوحشية التى ارتكبها جنود أحمد المنصور والمولى اسماعيل فى حق سكان الساقية الحمراء ووادى الذهب وموريطانيا ، التى يحلو لهم

أن يعبروا عنها ببلاد السيبة ليبرروا غزوهم وارهابهم وما اقترن بهما من مظاهر الوحشية .

خامسا : ان سلاطين المغرب الاقصى لو كانوا ينوون الخير لهذه المناطق لما استعانوا بالاجانب من النصارى الاسبان وغيرهم فى غزوها ولو كانت البلاد لهم قبل ذلك لما اضطروا الى تجريد مثل تلك الحملات العسكرية الكبيرة ، والى الاستعانة بالعناصر الاجنبية التى تعتبر عدوة الجميع . ولكن التاريخ يعيد نفسه فى هذه القضية فكما استعان احمد المنصور بالنصارى فى غزو الساقية الحمراء ووادى الذهب وموريطانية فى أواخر القرن 16 ، استعان ملك المغرب اليوم عام 1975 بنفس العناصر ولنفس الغاية والهدف الخسيس .

سادسا : وأخيرا ، ان ملك المغرب الحالى متناقض مع نفسه ومع الامثلة التاريخية التى اعتمدها . فاحمد المنصور ، والمولى اسماعيل لم يقتصر غزوهما على الساقية الحمراء ووادى الذهب فقط وانما امتد ليشمل شنقيط (موريطانيا) ومالى . فلماذا لم يطالب بهما كذلك ولم يجرد جيوشه لغزوهما ، لو كان حقيقة صاحب مبادىء ومثل عليا يعتمد على المطالب التاريخية الحقيقية . ان استقلال مالى ، وموريطانيا ، لا يحول دون المطالبة بهما اذا كانتا حقيقة جزءا من التراب المغربى .

ان ملك المغرب استأسد اليوم على شعب الساقية الحمراء ووادى الذهب ولكنه يمثل دور النعامة أمام الاسبان فى سبتة ومليلية والجزر الجعفرية وحجر باديس ، غير ان الطريق طويل ، كما قال الرئيس بومدين ، ومزروع بالاشواك وقنابل الثوار وسوف لن يكون الحسن الثانى باحسن حالا من أحمد المنصور والمولى اسماعيل . فالطرد من الصحراء هى النهاية الحتمية له ولجيوشه الغازية طال الزمن أم قصر .

البيعة والشورى فى الإسلام وتطورهما عبر التاريخ

وهذه الندوة الثانية التى نظمها المركز الثقافى الاسلامى بالعاصمة حول المفهوم الدينى الصحيح للبيعة ، لا كما يزيفه النظام الملكى فى المغرب ، وشارك فيها الشيوخ : المهدى البوعبدلى ، واحمد حمانى ، وعبد الرحمان الجيلالى ، وسليمان داود بن يوسف .

المهدى البوعبدلى

عضو المجلس الاسلامى الاعلى
ـ الجزائر ـ

ان بحثنا فى هذه الندوة ، سيشمل البيعة ومبدأ الشورى وتطورهما عبر التاريخ .

وحيث أن البيعة والشورى ، هما من دعائم الخلافة الاسلامية ، فاننى سأتناول بالبحث الخلافة بصفة عامة ، ثم تطورها عبر التاريخ ، وما آلت اليه فى العهد الاخير ، أى عهد الانحطاط ، والتدهور ، وتفكك ما تبقى من اوصالها .

ولما كانت وجهات نظر ائمة الاسلام تختلف فى هذه القضية الهامة فى الاسلام ، ركزت القسم الاخير الذى ختمت به هذه الدراسة ، على مواقف بعض ائمة المذهب المالكى ببلاد المغرب الاقصى كنماذج ، اذ بقية بلاد المغرب العربى كالجزائر وتونس ، وليبيا ، كانت منضوية تحت حكم الخلافة العثمانية ، كما انى لضيق مجال البحث ذكرت المراجع فى دراسة موسعة ستنشر فى مجلة الاصالة .

الخلافة الاسلامية هى رئاسة عامة فى الدين والدنيا وهى خلافة عن النبى (صلعم) فللامة عليه الولاية العامة ، والطاعة التامة ، وله حق القيام على دينهم ، من اقامة الحدود ، وتنفيذ الشرائع ، وله أيضا القيام على شؤون دنياهم ، وبالجملة فهو الحاكم الزمنى والروحى ، ومع هذا كله لا تجب طاعته الا فى حدود الشرع ، وقد بين حدود الخلافة ، أبو بكر الصديق في خطبته بعد مبايعته مباشرة فقال : (أيها الناس ، انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فأعينونى ، وان اسأت فقومونى ، فالضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه .. أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله فلا طاعة لكم على) وعزز فحوى هذا الخطاب عمر بن عبد العزيز فى خطابه المنهجى الذى القاه بعد توليه مقاليد الخلافة فقال : (ألا لست بقاض ، ولكنى منفذ ، ولست بمبتدع ولكن متبع ، ولست بخير من احدكم .. الى أن قال .. وان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) .

وقد اعتنى بالخلافة أعلام الاسلام وائمته ، فخصصوها بالتآليف القيمة ، الجامعة المانعة ، وأهم ما كتب له الخلود منها « الاحكام السلطانية » لابى الحسن الماوردى ، وقد ترجم الى عدة لغات ، وسأقتصر على لقطات من مواقف بعض علماء الاسلام ، أظهروا فيها آراءهم ، وطبقوها قولا وعملا ، عندما انحطت الخلافة ، وتدهورت دعائمها كالبيعة والشورى ، خصوصا فى بلاد المغرب العربى . ان علماء الاسلام ومفكريه متفقون على أن تاريخ الخلافة ينقسم الى فترتين . الفترة الاولى تشمل عهد الخلفاء الاربعة ، والفترة الثانية تبتدىء من تولية اليزيد بن معاوية ، الى الغاء الخلافة العثمانية ، اثر الحرب العالمية الاولى .

وهم متفقون على أن القسم الاول توفرت فى أصحابه شروط الخلافة باتم مدلولاتها ، واما القسم الثانى فانهم كادوا أن يتفقوا على أن اطلاق لقب الخلافة على من ادعوها من باب التجاوز ، بل هى نظام ملكى بحت ، واستثنوا من بينهم الخليفة عمر بن عبد العزيز . كان فى طليعة أصحاب هذا الرأى ، القاضى الفقيه محمد المقرى التلمسانى أستاذ عبد الرحمن ابن خلدون ، الذى كان يرى ، ان نظام الملكية مناف للشريعة الاسلامية ، وانما الذى يوافق مبادىء الاسلام هو الخلافة المبنية على الشورى واستدل على رأيه بقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض » الآية ثم قال (ولم يجعل فى شرعنا الا الخلفاء) فكان أبو بكر خليفة ، ولم يستخلفه رسول الله (صلعم) نصا لكن فهم الناس ذلك فهما ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ولما توفى لم يورثها لاولاده ، وانما ترك نظر الاختيار لاصحابه ، وهكذا بالنسبة الى عمر وعثمان فعلى .. ثم قال : (ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، والخشونة لينا ، فجعلها ميراثا فلما خرج بها عن وضعها ، لم يستقم ملك (فيها) وأيد ابن خلدون رأى أستاذه هذا بمزيد من الوضوح والتفصيل فقال : ان الخلافة الخالصة كانت فى الصدر الاول الى آخر عهد على ، ثم صار الامر الى الملك ، وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك ، والصدر الاول من خلفاء بنى العباس الى الرشيد وبعض ولده ، ثم ذهبت معانى الخلافة ، ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا بحتا ... وجرت طبيعة التغلب الى غايتها ، واستعملت فى اغراضها ، من القهر والتقلب فى الشهوات والملاذ الخ) .

ولا يمكننا التعرض لتحليل حكم الشورى وآراء العلماء فى شروط وجوبها ، فنكتفى بسرد ما ورد فيها من بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى « وشاورهم فى الامر » وقوله « وأمرهم شورى بينهم » ونكتفى

أيضا بالاشارة الى عمل النبى (صلعم) وعمل خلفائه مـن بعده ، ذلك العمل الذى كان مبنيا على التشاور ، وعدم الاستقلال بالرأى ، وكل ما هنالك أن الشريعة الاسلامية ولو قررت مبدأ الشورى ، كأصل من أصول الحكم فانها لم تنظم طريقة تطبيقه ، وانما تركت ذلك للظروف والمقتضيات ، ومن جملة اختلاف وجهات نظر علماء الاسلام ، فى الخلل الذى يطرأ على اثر البيعة والشورى ونتيجته انحراف من وضعت فيه الثقة ، وأخل بواجبه . من سوء سلوك أو اهمال واجباته الحيوية ، فانه بمجرد ثبوت ذلك تسقط أهليته ، وحينئذ يمكن لاهل الحـل والعقد عـزله ، وان لم يستجب ، فيجب قتاله ، وهذا العزل وما يترتب عليه ، هو محل الخلاف الجوهرى بين العلماء أجازه بل أوجبه بعضهم ، وتردد آخرون ، واحتفظوا بآرائهم ، ورأى بعضهم عدم الجواز ، وآخرون أفتوا بالمقاطعة السلمية أى ملازمة البيت ، وعللوا ذلك ، بالخوف من أحداث الفتن وللمثال نذكر ، أن المعتزلة يرون ان عزل المنحرف واجب ، وان أبى فقتاله ، وجعلوا ذلك أصـلا من الاصول الخمسة ، فى مذهبهم ، وكذلك الصفرية من الخوارج ، فهم يرون أن الامام المنتخب ولو توفرت فيه الشروط المطلوبة ، وحافظ عليها ، مدة ولايته ، الا أنه ان ظهـر من هو أصلح منه واكفأ عزل ونصب الاصلح مكانه .. ولضيق مجال هذه الندوة نكتفى بذكر بعض علماء المغرب من الفقهاء المالكيين ، لـم يترددوا فى اصدار فتاويهم بعزل الامام المنحرف ، وقتاله ان لم يمتثل لحكم العزل وطبق هؤلاء العلماء آراءهم قولا وعملا ومن هؤلاء الفقيه الذائع الصيت أبو العباس أحمد بن عبد الله المشهور بأبى محلى ، فقد أعلن الثورة على ابناء الملك أحمد المنصور الذهبى السعدى الذين اتهمهم بموالاة البرتغاليين عند احتلالهم لمدينة العرائش ، ومن جملة ما قاله فى الموضوع « والبيعة لا تعقد لملحد ، ولا تلزم لمتعد مكره عليها كـل

موحد ، والجهاد عليه هو فرض عـين ، والجائر المنفر المشتت للجماعـة لا يصعد خطيبا بالامة كلها على المنبر ، على هذا نحيا ، وعليه نموت ان شاء الله » ثم قال يصف مجتمعه اذ ذاك (اللهم انى ابرأ اليك مما فعل أهل عصرى وقطـرى بدينك ، عالمهـم مداهن ، ومرابطهم كـاهن ، وسلطانهم فاجر أو كافر ودليلهم حائر ، وسبيلهم عن القصد بها جائر ، فاليك الشكوى ، فى رفع هذه البلوى) ، ثم ظهر جليـا أن البيعة كانت تعقد تحت حكم السيف قهرا وغلبة ، وقد روى ان أول من هدد باستعمال السيف أحد دعاة البيعة لليزيد ، ابن معاوية وذلك أنه عندما جـمع معاوية أهـل الحـل والعقد لمبايعة اليزيد قام من جملة الخطباء الذين أشادوا بفضائله يزيد ابن المقفع ، وألقى خطابا موجزا ، ختمه بقوله « أمـير المؤمنين هذا » وأشار الى معاوية « فان هلك فهذا » وأشـار الى اليزيد « ومن أبى فهذا » وأشار الى السيف .

ولنختم هذا البحث بما استحالت اليـه البيعة والشورى فى عهدنا الاخير ، لما ابتليت بلاد المغرب العربى باحتلال بعض اجزائها ، وحماية الاجزاء الاخرى ، وكانت بلاد المغرب الاقصى هى البلد الوحيد ، الذى احتفظ بالنظام الملكى ، فثبت انه رغم ما كان ينشر ويذاع من أن مجلس علماء البلاد ، واعيانها ، وذوى الحل والعقد من نخبتها رشحوا الملـك الفلانى وحرروا عقد البيعة بعد التشاور ، وأمروا بتلاوتها على منابر المساجد ، ومحلات التجمعات فان اختيار الملك كان يقع سرا فى الاقامة العامـة ، وهى التى تستشير بدورها الوزارة الخارجية وبعد الموافقة يؤمر العلماء والاعيان وأصحاب الحل والعقد بالاجتماع وتحرير عقـد البيعة أو امضائه ، ثم يتولون نشره واذاعته عـلى الطريقـة المألوفة ، وكدليل على هذا ما كتبه رئيس الجمهورية الفرنسية السابق Poincaré الذى ذكر فى تأليفه الشبيه بالمذكرات ، المسمى (اثر أحداث أقادير)

ذكر في سياق حديثه على المغرب قبل الحماية وبعدها ، عندما كان رئيس الوزارة الفرنسية ، كيف أمكن للمقيم العام الجنرال ليوطي ، بعد ابرام معاهدة الحماية مع الملك عبد الحفيظ سنة 1912 اختيار من هو ألين عريكة ومحل ثقة الفرنسيين ، فوقع اختياره على مولاى يوسف وامكنه ان يحصل على تخلي الملك عبد الحفيظ بدلا من جراية سنوية ، قدرها ستون وثلاثمائة ألف فرنك وقد خلع الرئيس Poincaré على الجنرال ليوطي لقبا جديدا وهو (صانع الملوك) وكان المغرب اذ ذاك لم تتغير وضعيته التي وصفها ابن أبي محلي في عهده يصف كثرة المتوثبة للملك قال (وكل من تغلب على جهة قليلة منهم انما يبايعه من لا بال له ، أو مكره على بيعته خوفا من ظلمه فسابت الامة ، وعمت البلبلة والغمة) ولهذا كلـه ان ظهرت كتب مثل (الاسلام ونظام الحكم) لعـلي عبد الرزاق ، ذلك الكتاب الذى أحدث هزة عنيفة اثر سقوط الخلافة العثمانية وحكم باحراقه ، وصودر ، وجرد مؤلفه من اجازاته الازهرية ، هناك ما يبرره .

الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها

احمد حمانى
رئيس المجلس الاسلامى
الاعلى ـ الجزائر

ان الامة الاسلامية ـ اذا كانت مؤمنة حقا . مستقيمة على الطريقة صدقا كما كانت فى عهدها الاول ـ خير امة اخرجت للناس . دينا وخلقا ، وعدلا واحسانا . ونظاما وحكما وقوة وأهلية للحياة المثلى ، تؤمن بالله وتتكل عليه وتستجيب له ، وتتبع سننه فى الكون وما شرع لها من الدين . يشيع بين أعضائها الخير والصلاح والمعروف ويامرون به ، ويختفى من مجتمعهم الشر والفساد والمنكر ويتناهون عنه ، يتعاونون على البر والتقوى ، ويتنكرون للاثم والعدوان ويتحالفون على حرب اهله .

ولقد وصف الله اعضاء هذه الامة المثالية فى آيات كثيرة من كتابه وأعلن رضاه عنهم وضمن لهم النصر والتمكين فى الارض ما استقاموا ، ومن أجمع الآيات القرآنية فى الموضوع ما جاء فى سورة الشورى ، قال الله عز وجل : « **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (33) والذين**

يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون (34) والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (35) والذين اذا اصابهم البغيى هم ينتصرون (36) » ·

ومن تمعن جيدا فى هذه الآيات البينات وتدبرها تبين له بوضوح انها اشتملت على أكمل صفات أعضاء المجتمع المثالى الفاضل الذى تتكون منه خير الامم وأفضل الشعوب ، وأقوى الدول واحسنها ، وأسعد الناس وازكاهم فى دينهم ودنياهم ·

ايمان بالله متين تطمئن به القلوب وتزكى النفوس وتسمو الاخلاق · ودين قويم ، واتكال على الله مع السعى والجد · وبعد عن الاغراق فى المادية الصرفة والتهالك على متع الحياة الدنيا · واجتناب لكبائر الاثم والفواحش · وحلم عند الغضب يعصم من الندم على الاندفاع مع القوة الغضبية والاستسلام لسورتها · واستجابة لله وللرسول اذا دعاهم لما يحييهم بطاعة مثالية فى العسر واليسر والمنشط والمكره مما يضمن النظام · وتشاور بينهم فى أمورهم مما يضمن لهم حسن التدبير فى السياسة والحكم ، ويعصمهم من الخطا والتعرض لاستبداد الفرد بالرأى مما يؤدى الى فساد نظامهم ، ويعرضهم لذهاب ريحهم وزوال دولتهم وهلاك أمتهم · واقامة للدين بقيامهم باركانه المصلحة لمجتمعهم لابدانهم وأرواحهم المزكية لنفوسهم كالصلاة والزكاة والانفاق من طيب كسبهم مما رزقهم الله · وعدل ورحمة واعتدال فى سيرتهم واحكامهم لا يظلمون ولا يظلمون ، واذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، يجزون السيئة بسيئة مثلها ولا يسرفون ، يعفون اذا قدروا ويغفرون لان العفو أقرب للتقوى وانه لمن عزم الامور ·

بهذه الصفات جعلت الامة المسلمة وسطا خير الامم وأبرها ، وأطهرها وأزكاها ، وكانت أمة الهداية والاصلاح المادى والروحى · أمة عدل ورحمة واحسان · ورئيسها منها ، ويجب ان يكون أولها فى الفضل ، وامتنها فى الدين ، واكملها فى الخلق ، وأقواها على الاضطلاع بشؤونها الدينية والدنيوية فى الرخاء والشدة ، فى الحرب والسلم ·

وكان الرئيس الاول لها نبيها ورسولها الاعظم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، جاءها بالهدى ودين الحق ، ورباها على الاستجابة وحسن السمع والطاعة ، واشاعة العدل والاحسان ، والتعاون على البر والتقوى · ومحاربة الاثم والعدوان ·

ومكن من نفسه من طلب منه ان يستقيد ، وكان خلقه القرآن « **وانك لعلى خلق عظيم** » ٠ وكل من دخل فى دينه لزمه ان يسمع ويطيع ، فقد كان يبايع على التزام الاخلاق الفاضلة وتجنب الاثم والفواحش والسمع والطاعة فى المنشط والمكره والعسر واليسر ٠ وصح فى الحديث أنه بايع الانصار فى العقبة على « أن لا يشركوا بالله شيأ ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ٠ ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيدهم وأرجلهم ، ولا يعصوه فى معروف » ٠ وكذلك كان من بعد يبايع المؤمنات امتثالا للآية الكريمة « **يايها النبىء اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا** » الآية ٠ وبايعه الانصار بيعة الحرب قبيل الهجرة ليلة العقبة كما روى عبادة بن الصامت أحد النقباء رضى الله عنه قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا ، وعلى ان لا ننازع الامر أهله ، وعلى أن نقول الحق اينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم » رواه مسلم وابن هشام وغيرهما ٠ وبايعه جرير بن عبد الله على السمع والطاعة والنصيحة للمسلمين ، وبايعه أصحاب الشجرة بيعة الرضوان على ان يقاتلوا قريشا وان لا يفروا ، أو على الموت ، فعلم الله ما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص والوفاء فرضى عنهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم ، وكفاهم شر القتال ٠ فالمبايعة عهد وثيق بين الراعى والرعية والتزام بالسمع والطاعة فى المعروف يلتزمه المسلم مختارا لولى الامر فيلزمه ما التزم ، ويوجب على ولى الامر مسؤوليته الكبرى من اقامة الدين وحفظ النظام بالعدل والاحسان وحماية الملة والدفاع عن الامة ٠

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى المسلمين وامامهم : يؤمهم فى صلاة الجمعة والجماعة ، ويحل مشاكلهم ٠ يجهز جيوشهم ويقودهم بنفسه فى الحرب أو ينيب عنه من يسير بهم الى لقاء الاعداء ويؤمر الولاة ويرسلهم الى الجهات ، ويقبض الصدقات والزكاة والاموال وينفقها فى شؤونهم ويعطيها لمستحقها منهم ، ويحكم بين الناس بما أنزل الله عليه وبما أراه لا يتبع الهوى فى الحكم ، ولا ينقاد لاهواء المتخاصمين ، بل يحكم بالحق والعدل ويهدى الى سواء الصراط ٠ وما توفى الا بعد اكمال الدين واتمام النعمة على المسلمين ٠

وبوفاة الرسول وجب على المسلمين ان ينتخبوا من بينهم من يخلفه فيهم ، ويتولى من أمورهم ما كان يتولاه بنفسه فى حياته • فان من شرع الاسلام أن يسود النظام والامن والصلاح مجتمع المسلمين ويختفى الفساد والخوف والاضطراب والفوضى ، ولذلك يجب أن يبايعوا اماما منهم يدير أمورهم ويحفظ الملة ويقيم قوانين الشرع ، وهو خليفة الرسول فيهم ، والامام بعده وأميرهم ، ولهذا سمى من يقوم بهذا الامر : الخليفة ، والامام الاعظم ، وأمير المؤمنين • فمن يستحق هذا المنصب ؟ وكيف ينتخب ؟

ان كتاب الله ينص على أن أمر المسلمين شورى بينهم « **وأمرهم شورى بينهم** » • ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ ما جاءت به هذه الآية ، فكان يستشير أصحابه فى أمرهم فى الامن والخوف ، فى الحرب والسلم ، فى السياسة والتدبير ، وقد أمر بمشاورتهم فى قوله تعالى « **وشاورهم فى الامر** » •

ومما لاشك فيه أن أعظم أمور المسلمين وأخطرها أمر الحكم ونظامه ، أمر الامامة العظمى ومن يستحقها ، فالمسلمون مأمورون أن يتشاوروا فى ذلك ، وان يبنوا نظامهم فى الحكم على الشورى •

قال الاستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله : « الحكم فى الاسلام للامة ، وشكله شورى ورئيسه الامام الاعظم أو « الخليفة » منفذ لشرعه ، والامة هى التى تملك نصبه وعزله • قال تعالى فى صفات المؤمنين : « **وأمرهم شورى بينهم** » • وقال لرسوله « **وشاورهم فى الامر** » • وكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فى المصالح العامة من سياسة وحربية ومالية فيما لا نص فيه من كتاب الله • (1)

وقال الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله « ليس من السهل أن يشاور الانسان ولا أن يشير ، واذا كان المستشارون كثارا كثر النزاع وتشعب الرأى ولهذه الصعوبة والوعورة أمر الله تعالى نبيه أن يقرر سنة المشاورة فيها بالعمل فكان يستشير أصحابه بغاية اللطف ويصغى الى كل قول ويرجع عن رأيه الى رأيهم » (2) • ولم يضع رسول

1) الوحى المحمدى ط • الثانية ص 221 •
2) تفسير المنار ج 4 ص 199 — 200 •

الله (ص) قاعدة للشورى ، ونظاما خاصا لاجرائها قال الاستاذ محمد رشيد رضا : لان « هذا الامر يختلف باختلاف أحوال الامة الاجتماعية فى الزمان والمكان ··· (1) ... اذ لا يمكن ان تكون القواعد الموافقة لذلك الزمن صالحة لكل زمان ، والمنطبقة على حال العرب فى سذاجتهم منطبقة على حالهم بعد ذلك وعلى حال غيرهم فكان الاحكام ان يترك (ص) وضع قواعد الشورى للامة تضع منها فى كل حال ما يليق بها بالشورى (1) ··· ولان النبيء (ص) « لو وضع قواعد مؤقتة للشورى بحسب حاجة ذلك الزمن لاتخذها المسلمون دينا · وحاولوا العمل بها فى كل زمان ومكان (1) ··· ولانه « لو وضع تلك القواعد من عند نفسه عليه الصلاة والسلام لكان غير عامل بالشورى وذلك محال فى حقه لانه معصوم من مخالفة أمر الله » · (1)

فالعمدة فى جعله ـ أى الامام الاعظم ـ أميرا على مبايعة الامة ، والمبايعة يحتاج فيها الى الشورى لاجل جمع الكلمة على واحد ترضاه الامة « فاذا أمكن ذلك بغير تشاور بين أهل الحل والعقد ـ كإن جعلوا ذلك بالانتخاب المعروف الآن فى الحكومة الجمهورية وما هو فى معناها ـ حصل المقصود » (2) · أما أهل الشورى من المسلمين فهم أولو الامر منهم كما نصت عليه الآيتان فى النساء ، الاولى هى قوله تعالى : « **يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا** » والثانية هى قوله تعالى : « **واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » · أولو الامر (هم أهل الحل والعقد والرأى الحصيف فى مصالحها الذين تثق بهم الامة وتتبع ما يقررونه (2) من « الامراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند ، وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة فهؤلاء اذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب ان يطاعوا فيه بشرط ان يكونوا منا ، وان

1) تفسير المنار ج 4 ص 201 — 202 ·
2) تفسير المنار ج 4 ص 203 ·

لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسول الله التى عرفت بالتواتر وان يكونـوا مختارين فى بحثهم (1) هؤلاء هم الذين يمثلون سلطة الامة ويعربون عنها • قال الاستاذ محمد رشيد رضا : « صرح كبار النظار من علماء الاصول بأن السلطة فى الاسلام للامة يتولاها أهل الحل والعقد الذين ينصبون عليها الخلفاء والائمة ويعزلونهم اذا اقتضت المصلحة عزلهم(2). اما الامامة أو الخلافة فقد عرفها الامام الرازى بقوله : « هى رئاسة عامة فى الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص » وقال ابن سلمون المالكى فى تعريف الامامة : « عبارة عن نيابة شخص على النبىء صلى الله عليه وسلم فى اقامة قوانين الشرع وحفظ الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الامة » (3) •

ان النظام الاسلامى فى الحكم بلزوم رضى الجمهور عن الامام وانتخابه من الامة بواسطة أهل الحل والعقد أو مباشرة قد سبقت اليه الامة الاسلامية غيرها وقررته ، فان رؤساء الجمهوريات ينتخبون من أعضاء مجلس النواب والشيوخ أو بالتصويت العام المباشر من الامة ، وانه لاحسن الانظمة لانه يجعل رئيس الامة المتجدد هو أفضلها واكملها واقدرها واقواها واعلمها بالاحكام الشرعية وبالسياسة والتدبير ، وهـذا ما فهمه المسلمون من نصوص كتابهم وسنة نبيهم القولية والعملية ومن تربية نبيهم • فلقد اجمعوا على أن هذه الامامة لا تورث ليس للخليفة ـ شرعا ـ ان يورثها بنيه أو أقاربه ، وانما يتولاها افضلهم واقدرهم على القيام بها ، ولا يتحقق هذا فى نظام وراثى يخلف فيه الابن اباه ، أو القريب قريبه فان فضل الله ليس حكرا على « عائلة » وانما يوتيه من يشاء من عباده • وشذت الشيعة الذين زعموا ان الامامة وراثة فى ذرية على من فاطمة عليهما السلام كما هو مذهب الامامية والزيدية أو فى ذرية على ولو من غيرها كما هو مذهب الكيسانية • وليس للشيعة فى الموضوع سند صحيح صريح لا يقبل المناقشة من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومع اجماع المسلمين على

1) تفسير المنار ج 5 ص 181 من كلام الشيخ محمد عبده •
2) الوحى المحمدى ص 223 •
3) نقل عن التاودى فى شرح التحفة فى تعريف القاضى عند قوله : (منفذ للشرع بالاحكام له نيابة عن الامام) •

ان الخلافة غير وراثية فقد اصبحت كذلك بعد الخلفاء الراشدين ، سن ذلك بنو أمية وتبعهم فى سنتهم العباسيون ثم الفاطميون ٠

ان المسلمين طبقوا قاعدة الشورى فى انتخاب اميرهم خليفة رسول الله ، فاجتمعوا فور وفاته وقبل دفنه فى سقيفة بنى ساعدة وكان أغلب المجتمعين من الانصار اوسهم وخزرجهم وأداروا الرأى وأجروا المناقشة بحرية واشتدت احيانا بين الانصار والمهاجرين الذين لم يحضر منهم هذا الاجتماع سوى ابى بكر وعمر وابى عبيدة ، ورشح فيه ـ للخلافة ـ أربعة من خيار الصحابة : أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد بن عبادة رئيس الخزرج وكان أكثر المرشحين أنصارا واعزهم نفرا لو كان الامر للعصبية القبلية ، ولكن اصحاب رسول الله اطهر قلوبا وأقوم دينا من ان تغلبهم الحمية الجاهلية ، واستبان من المناقشة فضل المهاجرين القرشيين على القبائل العربية ، وفضل أبى بكر الصديق على سائر المسلمين فبايعوه وتم انتخابه باجماع ، وعللوا اختياره بانه افضلهم واقواهم على الامر ، وأطولهم صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصقهم به ، وقالوا : قد اختاره رسول الله لديننا افلا نرضاه لدنيانا ؟ وكان قد اختاره لامامتهم فى الصلاة وهى عماد دينهم فكيف لا يرضونه لدنياهم ؟ وقد صدق حكمهم فيه وظنهم به لانه استطاع بحسن تدبيره وحزمه ومعرفته وصلابته أن يخمد نار الفتنة ويقضى على الردة ٠

ثم كان من بعده بيعة كل واحد من الخلفاء الراشدين نتيجة استشارة وبحث عن سيرته وكفاءته ومعرفة آراء الناس فيه ، فقد رشح ابو بكر ـ فى مرضه ـ عمر بن الخطاب واستشار فيه الناس فرادى وجماعة فاعلنوا رضاهم وقال فيه عبد الرحمان بن عوف لما استشاره فيه : « وهو والله افضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة » فقال أبو بكر : «ذلك لانه يرانى رفيقا ولو أفضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه» ٠ وقال فيه عثمان لما استشير : « اللهم علمى به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله » ٠ وقريب من هذا قال فيه سادة المهاجرين والانصار منهم طلحة واسيد بن حضير وسعيد ابن زيد وغيرهم ٠ ولم تكف استشارة الافراد حتى أشرف ابو بكر على الناس بالمسجد فقال :

« أترضون بمن استخلف عليكم ؟ فانه والله ما ألوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة ، وانى قد وليت عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا »٠ وأجاب الناس «سمعنا واطعنا » فقال : « اللهم انى لم ارد الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما انت

به اعلم واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم واحرصهم على ما ارشدهم » . (1)

وقد اشتهر أن بيعة عمر كانت بالعهد لا بالشورى ، والصحيح انها كانت شورى يقول الاستاذ محمد رشيد رضا : « استشار أبوبكر كبراء الصحابة فى العهد الى عمر فلما علم رضاهم عهد اليه حتى لا يكون للتفرق والخلاف محل» (2) ثم يقول : «الصواب ان بيعة عمر كانت بالشورى ولكن هذه الشورى حصلت فى عهد ابى بكر وهو الذى تولاها بنفسه ... وانما تعجل ذلك لخوفه على الامة فتنة التفرق والخلاف من بعده فشاور أهل الرأى والمكانة من الصحابة فيمن يلى الامر بعده فرأى الاكثرين منهم يوافقونه على ان امثلهم عمر » (3) ولم يهمل ابو بكر رأى الاقلية المعارضين بحجة شدة عمر « حتى انه تكلف صعود المنبر قبل وفاته وتكلم بالمسالة بما اقنع القوم فعهد اليه فى الامر فى حياته » (3) ثم بويع بالخلافة من بعده . والعبرة بهذه المبايعة المعربة على المصادقة والرضى . وأما عثمان فقد رشحه للخلافة عمر فيمن رشح ، ولما اجتمع المرشحون تبين انها منحصرة فى عثمان وعلى ، فخلع عبد الرحمن بن عوف نفسه منها على ان يستشير الناس ويبايع من يرضون عنه ، وأخذ يتصل باولى الامر من الانصار والمهاجرين ، وظهر ان الاغلبية فى جانب عثمان فبايعه وقدمه على على ، وتمت البيعة له باجماع المسلمين ولم يتخلف عنها على كرم الله وجهه . ولما اغتيل عثمان تعينت فى على وبايعه أهل المدينة ، بما فيهم طلحة والزبير وبقية المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم ، ورؤساء الجند من مصر والكوفة والبصرة ولهذا عدّ أهل الشام بغاة لانهم لم يرضوا بما رضى به جماعة المسلمين واغلبهم ، فقوتلوا مقاتلة البغاة بمقتضى قوله تعالى : « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله** » .

اجتهد أهل الشام فاخطأوا ، ونازعوا الامر أهله فبغوا ، وقد اجمع أهل الاسلام على أن علي بن ابى طالب كان أهلا للخلافة ، لانه افضل الامة فى عصره وأحقهم بها ، وقد

1) انظر كتاب الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هيكل .
2) تفسير المنار ج 4 ص 202 .
3) تفسير المنار ج 4 ص 203 .

بويع بيعة صحيحة من أهل المدينة وجند مصر والبصرة والكوفة وهم اغلبية المسلمين من أهل الحل والعقد ، وقد تحقق بغيهم بقتلهم عمار بن ياسر الذى اخبر رسول الله (ص) انه مقتول من البغاة فقال (ص) : « تقتل عمارا الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار » رواه مسلم من حديث ام سلمة رضى الله عنها قال ابن عبد البر : « تواترت الاخبار بهذا وهو من أصح الحديث » • ولم يطعن فيه معاوية رضى الله عنه ، وانما تاوله بعد أن قتل عمار من فئته ورد تاويله عمرو بن العاص •

وبعد اغتيال علي عليه السلام وتنازل الحسن عن حقه فى الخلافة - بعد بيعة جنده - اجتمع أمر المسلمين على معاوية وأيدوه جميعا فرحين بانتهاء الفتنة وسموا عامهم «عام الجماعة» وصدق فى الحسن عليه السلام ما اخبره به جده صلى الله عليه وسلم من أنه سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين • ولا شك أن معاوية كان أهلا للخلافة يوم بويع من الجميع لما كان يتصف به من العلم والفقه والحذق بالسياسة وحسن التدبير فى الحرب والسلم • وقد كان ولى عهده الحسن بن على حسب الاتفاق، ولكن الحسن توفى قبله، وخشى أن يدركه أجله فتعود الفتنة من جديد وتشتعل بين المسلمين نار الحرب ، فاراد أن يرشح للمسلمين من يتولى الامر من بعده ليبايعوه فى حياته ومن بعد مماته • ولقد أحسن التفكير والاحتياط ولكنه لم يحسن الاختيار وظن بابنه يزيد من الخير ماليس فيه • ويقينا أنه لم يكن يعلم من سيرته ما ظهر فيه من بعد ، فقد كان يزيد يتكتم ، ويتظاهر لابيه بالحزم والفضل والرغبة فى الجهاد وقاد الجيش الذى حاصر القسطنطينية ، وكان فى جيشه ذلك أبو أيوب خالد بن يزيد الانصارى الذى توفى عند أسوارها وما يزال قبره معروفا الى اليوم بها • ولو رشح معاوية عبد الله ابن عمر لما وجد من ينكر عمله ، ولكنه لما رشح يزيد وجد معارضة شديدة وانكارا علنيا مجمعا عليه وذلك لامور : منها ان يزيد لم يكن من خيار المسلمين فضلا عن أن يكون خيرهم ، وقد كان فى المسلمين أمثال عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن عباس والحسين بن على وغيرهم وكلهم خير من يزيد ، ومنها ان يزيد ابنه ووريثه ، فتعيينه للخلافة من بعده وهو ابنه يخرج بالنظام من طابعه الاسلامى الجمهورى الى طابع الاعجمين الوراثى الكسروى القيصرى • وقد أعلن أبو بكر انه لم يستخلف على

المسلمين ذا قرابة وانما استخلف عليهم أفضلهم وأقواهم ، كما ان عمر بن الخطاب منع منها ابنه وأنكر انكارا شديدا على من أشار عليه باستخلاف عبد الله بن عمر مع صلاحه وأهليته وكفاءته وقال له « ما أردت بهذا وجه الله » • كما أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لم يوص بها لابنه ولم يستخلفه ، وان كان الجند قد بايعه من بعده • ومنها ان في هذه الوصية غصبا لحق من حقوق المسلمين أعطاهم اياه القرآن بآية الشورى ، وخطرا عظيما على نظام الحكم الاسلامي الجمهوري • وكان من أشد المعارضين الحسين بن علي ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير ، فأما عبد الرحمن بن أبي بكر فقد صرخ في وجه مروان بن الحكم عندما أعلن مروان ترشيح يزيد وطلب مبايعته وزعم أنها سنة أبي بكر وعمر قائلا : « سنة هرقل وقيصر ! أهرقلية اذا مات قيصر كان قيصر مكانه ؟ لا نفعل والله أبدا » • وقد حاول معاوية أن يسترضيه ويلين من قناته فبعث اليه بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد فردها وأبى أن يأخذها وقال « لا أبيع ديني بدنياي » ومات قبل موت معاوية (1) • ولما استخلف يزيد وتبين سفهه وفسقه واستهتاره أعلن الحسين بن علي عليه السلام ثورته ، وبايع له أهل العراق واستقدموه ، فلما قدم عليهم نكثوا عهده ، وخانوه ومكنوا منه عبيد الله بن زياد وقاتلوه معه فقتلوه • وثار عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بمكة من بعد الحسين ، كما ثار أهل المدينة ، وكاد الامر يتم لابن الزبير بعد وفاة يزيد لو أحسن السياسة وقبل ما عرضه عليه قائد جيش أهل الشام المحاصر له • لقد بايع له أهل الامصار وبعض جند أهل الشام ، ونازعه مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان ، فانتزع عبد الملك بنفسه العراق من أخيه مصعب بن الزبير وقتله ، ووجه اليه الحجاج بن يوسف فقتله بالمسجد الحرام بعد أن سلم عليه بالخلافة مدة 9 سنوات وبايعه كثير من الصحابة ، وكان ابن الزبير أهلا للخلافة لتدينه وفضله وعلمه قال فيه الامام مالك فيما رواه عبد الرحمن بن القاسم : « ابن الزبير أفضل من مروان ، كان أولى بالامر من مروان وابنه » •

1) انظر كتاب الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة عبد الرحمان ، وانظر كتب التفسير عند قوله تعالى : « **والذي قال لوالديه أف لكما** » من سورة الاحقاف •

وهكذا نرى أن الاصحاب وجلة العلماء، يحتجون لاهلية الشخص لهذا المنصب الجليل بأنه أفضل المسلمين • ولتحقيق هذه الافضلية فى المرشح وضعوا شروطا لا تنعقـــد الامامة لاحد منهم الا بتوفرها فيه ولا تدوم له ان فقد بعضها بعد توليه •

قال ابن سلمون « وشروطها المتفق عليها ستة : الذكورة والبلوغ والحرية والعدالة والاجتهاد وأن يكون ذا رأى مصيب ونجدة فى تجهيز الجيوش وسد الثغور واقامة الحدود وضرب الرقاب بالحق، وانصاف المظلوم من الظالم لا يلحقه خور أى ضعف فى ذلك• وزاد أهل السنة كونه قرشيا لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة فى قريش » (1) • ولاشك أن من اجتمعت هذه الصفات فيه من أكمل المسلمين وأفضلهم وأقواهم وأحقهم بالامامة العظمى •

وانما اشترطت الذكورة فى هذا المنصب الجليل لانه منصب عام يتطلب صفات تتخلف فى الانثى ولا يقتضى هذا الشرط استنقاصها ، فالخليفة هو الذى يؤم المسلمين فى صلاتهم يوم الجمعة والجماعة وفى الاعياد ، والمرأة لا تكون مستعدة لذلك كل حين ، فقد تسقط عنها الصلاة ، ولان من مهامه تجهيز الجيوش وقيادتها ومباشرة القتال بنفسه ، ومن مهامه اقامة الحدود وضرب الرقاب وردع أهل الفساد والبغي وطبيعة المرأة الرقيقة وشفقتها مما لا يساعدها على مثل هذه المواقف القاسية • ولان المرأة قد تكون متزوجة ـ اذ لا رهبانية فى الاسلام ـ وللزوج على زوجه سلطان ، ولا ينبغى ان يكون على أمـير المؤمنين سلطان الا للـــه •

ثم ان وجود امرأة على رأس الدولة قد يسبب فتنة بين الرؤساء والوزراء والـولاة والحكام وتكثر الدسائس والمكائد وقد صح فى الحديث أن أبا بكرة رضى الله عنه قال : « لقد نفعنى الله بكلمة أيام الجمل ، لما بلغ النبىء صلى الله عليه وسلم أن فارسا ملكوا عليهم ابنة كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » • رواه ـ كما فى الجامـــع الصغير ـ البخارى والترمذى والنسائى واحمد ، ويفهم من الحديث نهى المسلمـــين ان يسلكوا هذا السبيل اذا أرادوا ان يتجنبوا الخسران ، وأحداث هذا العصر تشهد لهـذا الحديث ، وذلك واضح •

1) انظر وثائق ابن سلمون ، وشرح التاودى على التحفة •

واما البلوغ فان الصبى ضعيف ، لا يتصرف حتى فى ماله ، ولا يتوجه اليه خطاب الشرع بالتكليف اذ كل تكليف بشرط العقل مع البلوغ ، والامامة تكليف وأى تكليف فكيف يكلف بمسؤولية الامامة العظمى من لا يتوجه اليه فى نفسه خطاب التكليف ، ولم يجب عليه صلاة ولا صيام ولا حج ؟ اللهم ان السفه الاعظم لفى أمة تبايع على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره اماما سفيها ليقيم لها قوانين شرعها ويدفع عنها كيد خصومها ويضمن لها عزها .

واما العدالة فانها تتضمن الاسلام فان الكافر لم يجعل الله له على المؤمنين سبيلا قال الله عز وجل : « **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** » والولاية العظمى من اعظم السبيل ، ولان الكافر غير مأمون ولا موثوق به . والعدل ـ كما هو معلوم ـ من يتجنب كبائر الاثم والفواحش ، ويتقى فى غالب أمره الصغائر ، بل يجتنب المباح اذا كان قادحا فى المروءة مثل الاكل والشرب فى السوق ، والمشى حافيا فى الازقة اذا كان مثله لا يفعل ذلك . فلا تنعقد الامامة لكافر ولا تدوم له ، ولا تنعقد لفاسق ابتداء ، واختلفوا فيه اذا طرأ عليه الفسق ، قال القاضى عياض رحمه الله فيما رواه النووى فى شرح مسلم :

« اجمع العلماء على ان الامامة لا تنعقد لكافر ، وعلى انه لو طرأ عليه الكفر انعزل ، قال : وكذا لو ترك اقامة الصلوات والدعاء اليها قال وكذلك عند جمهورهم البدعة قال وقال بعض البصريين : تنعقد له وتستدام لانه متاول قال القاضى : فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام وخلعه ونصب امام عادل ان امكنهم ذلك » (1) . ثم قال : ولا تنعقد لفاسق ابتداء فلو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم : يجب خلعه الا ان يترتب عليه فتنة وحرب ، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لا ينعزل للفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخويفه للاحاديث الواردة فى ذلك . (1)

1) النووى على مسلم ج 12 ص 229 عند الكلام على شرح حديث عبادة بن الصامت .

ومن الاحاديث الواردة فى الموضوع مما اشار كلام القاضى عياض من الحث على الطاعة والتحذير من مفارقة الجماعة ما رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة ان رسول الله الله (ص) قال : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه » . وروى أيضا من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله (ص) قال : « من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فانه ليس احد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه الا مات ميتة جاهلية » . وأنكر عبد الله بن عمر على من أراد الثورة ضد حكم يزيد بن معاوية فذهب لزيارته ونصحه فقال له : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم . وكان عبد الله بن عمر قد بايع يزيد بن معاوية ولم يخلع له طاعة ، كما بايع من بعد عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير . روى مالك فى الموطأ : أن عبد الله بن عمر كتب الى عبد الملك بن مروان يبايعه فكتب اليه « بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو واقر لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت » . وسأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامراء : « يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فاعرض عنه حتى كرر السؤال فقال رسول الله (ص) : « اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » . رواه مسلم ، وأصرح منه ما رواه حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) : « يكون بعدى ائمة لا يهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس » قال : قلت كيف أصنع يا رسول الله اذا أدركت ذلك ؟ قال : « تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع » رواه مسلم . وانما تكون الطاعة فى المعروف لا فى معصية الله وتكون الثورة وخلع الطاعة عند الكفر الصريح يظهر من الامام فقد صح فى حديث بيعة العقبة عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال : « كان فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة

فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وان لا ننازع الامر أهله » قال : « الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » رواه مسلم والكفر البواح هو الكفر الظاهر الصريح المعلوم المحقق من قواعد الاسلام • وانما حرم الخروج على مثل هؤلاء الظلمة السفقة لما تسببه الفتنة بين المسلمين من فساد عظيم وقتل ذريع وتشتيت شملهم وذهاب قوتهم، ولهذا ادعى بعضهم الاجماع على حرمة الخروج ، والحقيقة ان فى علماء المسلمين من يقول بوجوب القيام ورد القاضى عياض على من ادعى انعقاد الاجماع على حرمة القيـــام قال : « ادعى ابو بكر بن مجاهد فى هذا الاجماع وقد رد هذا بقيام الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على بنى أمية وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الاول عـــلى الحجاج مـــع ابن الاشعث • (1)

ولا شك ان هذه الثورات المذكورة وما حدث فيها من فتنـــة وفساد فى الارض مما لا يزال المسلمون يتجرعون مرارته حتى اليوم مع انها لم تحقق اهدافها ولم يصـــل اصحابها الى شىء وما أرادوه منها ، كل ذلك مما يدعم مذهب أهل السنة والجماعـة فى فهمهم احاديث النهى فهما صحيحا والرضاء باهون الشرين فقد استبيحت المدينة ثلاثة أيام وانتهكت الاعراض وسفكت دماء الصحابة من المهاجرين والانصار وابنائهم وانتهبت الاموال • وانتهكت حرمات البيت العتيق وضرب بالمنجنيق • وقتل بكربلاء الحســـين عليه السلام وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل فى ثورة ابن الاشعث الآلاف من ابطال المسلمين واشرافهم وعلمائهم • ومع كل هذا بقى يزيد فى حكمه • والحجاج فى ظلمه فما احسن اتباع قول الرسول ، والاستماع الى أمره « **فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** » •

واما الاجتهاد فان الامام نائب عن رسول الله فى اقامة قوانين الشرع فلابد ان يكون عالما فقيها باحكامه قال الامام الشاطبى : « ان العلماء نقلوا الاتفاق على ان الامامة الكبرى لا تنعقد الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى فى علوم الشرع » (1) • وأول شروط المجتهد ان يكون مؤمنا بالله عارفا به عالما بمدارك الاحكام واقسامها وطرق اثباتها • له درجة

1) راجع كتاب الاعتصام للشاطبى ، وتفسير المنار ج 7 ص 196 •

وسطى فى العربية وفنونها ، وفى الاصول والكتاب والسنة • ويكفى فى زمننا الرجوع الى مصنفات ائمة الحديث فى الجرح والتعديل وما يصح وما لا يصح (1) • وان تعذر الحصول على المجتهد أو تعسر فلابد من التحرى ومبايعة الامثل قال الشاطبى : « اذا فرض خلو الزمان من مجتهد يظهر بين الناس وافتقروا الى امام يقدمونه لجريان الاحكام وتسكين ثورة الثائرين والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم فلا بد من اقامة الامثل ممن ليس بمجتهد » (2) •

واما اشتراط الكفاءة من الرأى المصيب والنجدة فى تجهيز الجيوش وسد الثغور واقامة الحدود وضرب الرقاب بالحق وانصاف المظلوم من الظالم فامر ذلك واضح لان الامام انما يبايع لضمان جريان الاحكام والقضاء على الفتن وصيانة الدماء والاموال ، وحماية الديار ، وقد رأينا الامام الاول أبا بكر الصديق كيف جابه الاحداث وأخمد فتنة الردة وقهر مانعى الزكاة ، وقد خالفه الاصحاب فى محاربتهم كما اشاروا عليه بابقاء جيش اسامة أو استبدال قائده فأبى وكان المصيب فى رأيه • ومثل بقية ائمة المسلمين وخلفائهم العظام فى عصر الراشدين ، أو عصر بنى أمية أو عصر العباسيين أو فى عصورهم المختلفة فى الشرق والغرب ، فما انتخبوا خليفة واماما أو ملكا كفؤا لمنصبه توفرت فيه هذه الشروط الا كتب صفحة مجيدة فى تاريخ الاسلام • وما قدموا عاجزا خلوا منها الا كان بلاء على الاسلام والمسلمين •

واما اشتراط القرشية « عند أهل السنة ــ فى الامام فالاصل فيه الاحاديث الصحيحة التى رواها البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الناس تبع لقريش فى هذا الشأن » رواه مسلم من حديث أبى هريرة • وروى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان رسول الله (ص) قال : الناس تبع لقريش فى الخير والشر » • وروى أحمد والطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « والخلافة فى قريش ••• » •

1) راجع تفسير المنار ج 5 ص 204 ــ 205 وشروح جمع الجوامع •
2) راجع كتاب الاعتصام للشاطبى وتفسير المنار ج 7 ص 196 •

قال النووى فى شرحه الصحيح مسلم : « هذه الاحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لاحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الاجماع فى زمن الصحابة فكذلك من بعدهم » ثم ذكر أن من خالف فى ذلك « محجوج باجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبالاحاديث الصحيحة » ونقل عن القاضى عياض قوله : « اشتراط كونه قرشيا هو مذهب العلماء كافة قال وقد احتج به أبوبكر وعمر رضى الله عنهما على الانصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد ... » وقد عدها العلماء فى مسائل الاجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا وكذلك من بعدهم فى جميع الاعصار » (1) .

وذكر القاضى رحمه الله ان الذين خالفوا فى هذه الشرط هم الخوارج ، والنظام من رؤساء المعتزلة ، وأهل البدع . وان ضرار بن عمرو يفضل أن يكون من غير قريش قائلا فى سخافته : « ان غير قريشى من النبط وغيرهم يقدم على القرشى لهوان خلعه ان عرض منه أمر وهذا الذى قاله من باطل وزخرفه مع ما هو عليه من مخالفة اجماع المسلمين » . (1)

وقد ابتلى القاضى عياض فى عصره بمن يدعى الخلافة من غير قريش وهم ملوك دولة الموحدين ، فقد ثار ابن تمرت على أساس انه الامام المهدى الذى سيملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا ، ثم بويع من بعده عبد المؤمن بن على بالامامة العظمى عام 528 هـ . ولم يخف القاضى عياض للطاعة والبيعة للموحدين لان ملوك المرابطين كانوا يعترفون بالامامة الكبرى للخليفة العباسى الموجود فى بغداد ويستمدون شرعية حكمهم من ولايته لهم ، ويخطبون باسمه منذ عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمه الله . فولايتهم شرعية . اما ادعاء الموحدين للخلافة فانكار للنصوص وبدعة من البدع واتباع للهوى ، ولعل هذا ما جعله يثور عليهم مع الثائرين كما هو معروف فى تاريخه زيادة على سفكهم الشديد لدماء المسلمين ، فقد استباحوا مراكش ثلاثة أيام وقتلوا كل محتلم من الرجال ، وباعوا فى الاسواق من نجا من الموت كما ذكر ابن الخطيب فى الاحاطة ، بينما كان أمير

1) شرح صحيح مسلم ج 12 ص 200 .

المسلمين على بن تاشفين قد أبى ان يقتل ابن تمرت عندما تمكن منه بل بكى من وعظه . ولقد صدقت الايام ما ذكره أبو بكر يوم السقيفة فى محاجة الانصار من أن الناس لا يذعنون لغير قريش . فقد كان الخليفة العباسى يكون فى بغداد وقد بلغ به الضعف والعجز أسفل الدركات . ومع ذلك يخاطبه الملوك المسلمون يطلبون منه التولية لهم ليكتسبوا شرعية امارتهم كما فعل يوسف بن تاشفين ، وابن سبكتيكين ، وصلاح الدين وكل واحد منهم أعظم منه وأقوى ولكن الخليفة القرشى رمز وحدة المسلمين . فلما انقضى عهد القرشيين من الخلفاء انتثر عقد المسلمين ، وأصبحت الصلة مفقودة بين شعوبهم ودولهم . وكذلك كان الحال فى الاندلس، لم تقم قائمة المسلمين منذ القضاء على امامة الامويين القرشيين أوائل القرن الخامس . ورغم أن الخوارج لا يقولون باشتراط القرشية فى الامام فقد كان أئمتهم ورؤساؤهم بالمغرب على اتصال حسن وتعاون مع الخلفاء الامويين الاندلسيين . وقد بلغ ـ من بعد ـ خلفاء بنى عثمان أعظم درجات القوة والنفوذ ولم نر من أمـــراء المسلمين فى الآفاق من التمس منهم ذلك لان الناس تبع لقريش ، صدق رسول الله . ومـــن عجيب الامر أن يلتمس لهذا تاويل يؤدى الى تخطئة اجماع المسلمين وعلماء الفقه وأصول الدين والفقه من أهل السنة منذ عصر التابعين الى اليوم ، وقد صدقت الايام ما أخبـر به المعصوم عليه الصلاة والسلام .

واذا لم يوجد الكفؤ الذى تتوفر فيه كل الشروط المذكورة كالقرشية والعدالـــة والاجتهاد بويع غيره من الاكفاء ابتداء أو استدامة بعد وجوده خوفا من الفتنة وتفـــرق الكلمة ذكر ذلك الشاطبى فى الاعتصام واستشهد عليه بمثال « مبايعة ابن عمر ليزيـد ولعبد الملك بن مروان على كونهما من أئمة الجور ، وأخذهما الملك بالسيف لا باختيـار الامة ، ونهى مالك عن الخروج على أبى جعفر المنصور . (1)

وذكر الاستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله « أن الرأى الغالب على الامم فى هذا العصر أن المصلحة فى الخروج على الملوك المستبدين الجائرين » (2) .

1) تفسير المنار ج 7 ص 196 .
2) تفسير المنار ج 7 ص 197 .

والخلاصة أن الحكم فى الاسلام للامة ، وان هذا المنصب لا ينال بارث من أب أو قريب بل يتولاه أفضل المسلمين وأعظمهم أهلية وكفاءة وأحسنهم تدبيرا فى الحرب والسلـــم ، فى الامن والخوف • وان المسلمين لو طبقوا مبادىء دينهم وحققوا الشروط فى أئمتهـم لو فروا على أنفسهم أشق المصاعب وأعظم الخطوب • فكم من فاسق ظلوم غشوم تـــولى امارة المؤمنين وتلاعب بأمرهم وعبث بشؤونهم ، وكم من صبى تربع على كرسى الامامـة الكبرى ، وترك الحبل على الغارب للمفسدين وكم من عبد فى ثياب حر ، وكم من عاجز أخرق لا رأى له ولا شجاعة ولا تدبير ولا معرفة بشؤون الحرب والسلم عبث بهم وهذا ما وصل بهم الى الدركات وجعلهم غير أهل لما وصف اللـــه به سلفهم فى قوله سبحانه :
« كنتم خير امة أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

صـــدق اللـه العظيـــم •

الخلافة وإمارة المؤمنين
أو البيعة ومبدأ الشورى في الإسلام

عبد الرحمن الجيلالي
مؤرخ وفقيه

ان مقولة الخلافة والامامة العظمى فى مجال البحوث الاسلامية هى من أولى المشاكل الهامة التى أثيرت بين الفرق والطوائف المسلمة قاطبة ، وانى ما رأيت مسألة من المسائل الاسلامية الاصيلة تضاربت فيها الآراء واختلفت فيها الاقوال وتبلبلت فيها الافكار وتلاعبت بها الاهواء ودخلها التعصب وكثر فيها النزاع مثل ما وقع فى مسألة الخلافة ، أو الامامة العظمى ، وامارة المؤمنين .

وكلما مر عليها زمن الا وزاد البحث فيها غموضا وتعقيدا حتى أنها أصبحت أعقد من ذنب الضب ، اذ ليست ثمة مسألة من مسائل الدين أسالت الدماء وأثارت النزاع في كل عهود التاريخ الاسلامى مثل ما أسالت

هذه المسألة واثارته من نقاش حاد وخلاف أدى أصحابه الى المقاتلـــة والمقاطعة ، وهذا ما نهى عنه الاسلام ، وفى ذلك يقــول الشهرستانى وهـــو من كبار علماء الاســـلام وحكمائه فى القـــرن السادس الهجرى ـ الثانى عشر الميلادى ـ قال : وأعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة فى كل زمـــان .

وان السبب فى ذلك ـ حسبما يظهر ـ هو ما لحق الامة من دعــوة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، أو قل هى فراسته فيها كما رواه الطبرى فى تاريخه ، وذلك حينما حضر الاشتر النخعى بين يدى عثمان فى أواخر حياته أى أيام الفتنة فقال له الخليفة يا أشتر ، ما يريد الناس منى ؟ قال الاشتر : ثـــلاثا ليس من احداهن بد ، قال : مـــا هى ؟ قال : يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فاختاروا له مـــن شئتم ، وبين أن تقتص من نفسك ، فان أبيت هاتين فان القوم قاتلوك !! . فقال عثمان : فو الله لئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ، ولا تصلون جميعا بعدى أبدا ، ولا تقاتلون بعدى عدوا جميعا أبدا . وها نحن نرى ذلك واقعا بالفعل ودعوته هذه مستجابة وفراسته هذه مستمرة المفعول على مر الدهور والعصور منذ تولى الامر معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه ثم بعده ولده اليزيد الى هلم جرا ....

فمن المعلوم ضرورة أن الخليفة هو مصدر السلطات الدينية والمدنية لجميع الامم الاسلامية ولا يتعدد فلا يكون الا شخصا واحدا فى الزمن الواحد ولكننا رغم ذلك شاهدنا فى الزمن الواحد والعصر الواحد عدة حكومات كل منها يدعى الخلافة لنفسه فهذه خلافة أموية ، وهذه خلافة علوية ، وهذه خلافة عباسية ، وهذه خلافة فاطمية ، وهذه خلافـــة فى الاندلس ، وهذه خلافة فى المغرب حتى صدق على أصحابها قول من قال :

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة   فيها أمير المؤمنين ومنبر

وهكذا تفرق شأن الخلافة فى أنحاء المعمورة فادعاها العرب والعجم ، وهم الى ذلك ـ الى يوم الناس هذا ـ فى خلاف مستمر فى تعيين الشخص الذى يقوم بهذه المهمة ، وبما أنه ـ حسبما يتطلبه منصبه ـ هو مصدر السلطات الدينية لجميع الامم الاسلامية ، اشترطوا فيه شروطا أربعة كما عند ابن خلدون ، وهى العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يؤثر فى الرأى والعمل ، واختلف فى شرط خامس وهو النسب القرشى . ومنهم من قال : هى سبعة شروط ، وفيهم من زاد على ذلك الى عشرة .

والذين اشترطوا القرشية نراهم كذلك اختلفوا مع أنفسهم فى هذا القرشى ، هل يكون من مطلق قريش أو هو من آل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه خاصة ؟.. وكذلك نراهم اختلفوا أيضا فى من يخلف الخليفة بعد فقده فهل يكون ذلك بترشيح من سابقه فيتولاها اللاحق بطريق الاستخلاف وولاية العهد ... أم يكون ذلك بالانتخاب ؟.. وكذلك نراهم اختلفوا فى عزله فى حال ما اذا انحرف وثبت جوره وظلمه فمنهم من قال بعزله ، ومنهم من خالف وقال : وليس يعزل ان أزيل وصفه ؟.. بل حتى شرط العدالة الذى هو شرط أساسى فى الخلافة وقد قال فيها امام الحرمين : وكيف يتصدى لها من ترد شهادته ؟.. هذا الشرط نفسه وجدنا من فقهاء الاحناف من اسقطه وجوز أن يتولى الامامة الفاسق مع الكراهة .

ثم ان نفس جوهر القضية وهو تنصيب الخليفة هذا نجدهم قد اختلفوا فيه ... هل هو على سبيل الواجب أم لا ؟ ... وان قلنا بالوجوب فهل هو واجب شرعا أو عقلا ؟ ... وفيهم كذلك من توسع ممن قال منهم بالوجوب حتى قال · هل هو واجب على الله أو على الخلق ؟ ... كما أننا

وجدنا فيهم من لا يقول بالوجوب اطلاقا فليس قيام الامام عنده من الفروض الدينية تماما . فان الجماعة الاسلامية عندهم تستطيع فى أى وقت من الاوقات أن تقوم بجميع الفروض الدينية ، وأن تكون لها حكومة مدنية مستكملة لجميع الصفات الشرعية من غير أن يقوم فيها امام على الاطلاق فاذا ما رأت هذه الجماعة فى ظروف خاصة أن من المستحب أن يكون لها امام أو أوجبت الظروف ذلك فلها أن تختار من يلى هذا المنصب ، فاذا تبينت انه ليس أهلا له على أى وجه من الوجوه فلها أن تعزله أو تقتله كما حكى ذلك الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل .

كما أنهم اختلفوا فى تنصيب المفضول مع وجود الفاضل مراعاة للظروف ، وهناك من اشترط الاجماع على المبايعة ومنهم من شط فى الخلاف فلم يشترط العدد ولا اتفاق من فى سائر البلاد ، بل قال : بانعقاد البيعة ولو بمبايعة واحد مطاع من أهل العقد والحل ، وفيهم من اشترط الاشهاد فى المبايعة ومنهم من لم يشترط ذلك ، الى غير هذا مما حام حولها من آراء متناقضة ومتضاربة مختلفة .

وهكذا نجدهم فى خلاف مستمر لا يستقرون على رأى أو مذهب . وانى لست هنا بصدد مناقشة كل هذه الآراء ونقدها وتمحصيها وتمييز صحيحها من غيره فلهذا ميدان آخر . وكذلك لا أحب أن اعزو أى قول من هذه الاقوال ثبت لطائفة أو فرقة معينة من الفرق الاسلامية التى خاضت فى هذا الموضوع بل يكفينا منها أنها مسلمة ، اذ انه لا يكاد يسلم النقاش فى هذا الموضوع من الوقوع فى معارضة شديدة وتصلب فى الرأى ، وتعصب للمذهب وللسياسة أيضا ، كل حزب بما لديهم فرحون ... وهذا ما أشار اليه امام الحرمين فى الارشاد حيث قال : ان الكلام فى هذا الباب يعتريه نوعان محضوران عند ذوى الحجاج ، أحدهما ميل كل فئة الى التعصب ،

وتعدى حد الحق ... وانما حسبى اننى اشرت هنا الى مبلغ دقة موقف علماء الاسلام وتقصيهم فى البحث فى هذا الباب وشدة الخلاف فى ذلك، وهنا وقع الكثير من أرباب الطوائف والفرق والمذاهب الكلامية والفلسفية فى مزالق حرجة ومسالك شائكة وقانا الله شرها .

وما رأيت من استطاع التخلص من هؤلاء الذين خاضوا فى مباحث الخلافة والامامة الكبرى أحسن تخلص مثل ما تخلص به أصناف ثلاثة : أولا الصنف الذى رأى انقضاء زمن الخلافة وانتهاء ايامها باستشهاد الامام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه اعتمادا على الخبر المأثور عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكا عضوضا قال الراوى : حسبت خلافة أبى بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة على رضى الله عنهم فوجدناها ثلاثين سنة ، فمعنى هذا أن معاوية ومن بعده لا يكونون خلفاء بل كانوا ملوكا وأمراء .

والصنف الثانى هو القائل بصراحة بحلول القوة محل النظر العقلى فى العالم الاسلامى ، وانه تولد عن هذه القوة نظرية دستورية : وخير من يمثل هذا الرأى من العلماء هو بدر الدين بن جماعة المتوفى سنة 819هـ/1416 م . وقد بسط الكلام فى ذلك فى كتابه تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ، فهو يقول بأن الامام يلى منصبه اما بالانتخاب واما بالقوة حسبما تقتضيه المصلحة العامة .

والصنف الثالث هو القائل بتركها شورى بين أهل العقد والحل كما تركها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه شورى بين الستة المعروفين ، فيكون مجلس الشورى هو فى مجموعه بمنزلة امام واحد من غير تعيين لشخص بعينه .

وهكذا عاشت الامة الاسلامية طيلة تاريخها السياسى بين مد وجزر حول قضية الخلافة أو البيعة والشورى فى الاسلام الى أن قضى عليها الاتراك سنة 1342 هـ/1924 م . ومع ذلك لا زلنا نسمع الخوض فيها الى يومنا هذا وما يزال ذكرها يتردد ويطول الجدل فيها بين الناس مع التصريح جهرة باللقب الذى اختص به صاحبها : أمير المؤمنين .

نحن نعلم ان أول من اشتهر من الخلفاء بهذا اللقب هو الخليفة عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه ، وكانوا يدعون سعد بن ابى وقاص بالامير لامارتة على جيش القادسية سنة 14 هـ ، وهم معظم المسلمين يومئذ ، كما نعت به عبد الله بن جحش فى سريته الى نخلة فى العام الثانى للهجرة فكان أول أمير فى الاسلام ، ثم توارث الخلفاء هذا اللقب بعد عمر لا يشاركهم فيه أحد سواهم سائر دولة بنى أمية ثم دولة بنى العباس ، الا أن الشيعة خصوا عليا باسم الامام لما هو عليه مذهبهم فى كونه هو أحق بامامة الصلاة من غيره فخصوه بهذا اللقب هو ومن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده ، فكانوا كلهم يسمونهم بالامام ما داموا يدعون اليهم فى الخفاء ، حتى اذا استوثق لهم الامر حولوا اللقب فيمن بعده الى (أمير المؤمنين) وهكذا فعل شيعة بنى العباس قبل ظهور السفاح فانهم ما زالوا يدعون ائمتهم بالامام الى ابراهيم فلما هلك دعى أخوه عبد الله بن محمد بأمير المؤمنين ، واشتهر بالسفاح ، وكذا خصومهم من الذين ادعوا الخلافة لانفسهم كالعلويين والقرامطة والفاطميين . وكان الادارسة بالمغرب يلقبون ادريس بالامام وكذلك ولده ادريس الثانى وهو الاصغر كما يعبر عنه المؤرخون ، ومثلهم فى ذلك الرستميون فى تيهرت ــ الجزائر ــ ولم يكن هناك من لقب بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن تولاها الصديق رضى الله تعالى عنه أحد سواه .

وكما هو الحال كان عند الامويين والعباسيين والفاطميين من اطلاق لقب أمير المؤمنين على صاحب السلطة المطلقة ، فكذلك أطلقه الامويون وعدد من أسر الحكم الصغرى فى الاندلس قبل الغزو الموحدى وبعده على معنى السلطة المستقلة المحدودة ، وكذلك فعل الموحدون والحفصيون والمرينيون والزيانيون بالمغرب العربى فكلهم اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين مع أن سلطتهم كانت محدودة .

وظل بعدهم اشراف المغرب وسلاطين الترك يتخذون هذا اللقب سمة لهم ، ولكن هذا اللقب لم يتخذه الإتراك لقبا رسميا من حيث هو يتضمن حقا فى الخلافة العامة حتى بعد فتح السلطان سليم مصر سنة 922 هـ ، 1517 م ، وادعاه أيضا بعض ملوك سجلماسة من بنى مدرار فى سنة 342 هـ 953 م . وتلقب صاحبه بالشاكر ، وضربت بذلك الدراهم والدنانير ، وهكذا فعل امراء الجيوش الاسلامية فى السودان الغربى وعلى حدود السينيغال فى القرن الماضى كان منهم المسمى أحمد الشيخ أو أحمد سيكو بن الحاج عمر حاكم تكرور ، ومثله حمدو لبو فى تلك النواحى أيضا فكلاهما اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين ، ووقع مثل ذلك فى جاوى أيضا . ولهذا التزاحم والنزاع على مقام الخلافة والتهافت على لقب أمير المؤمنين نرى أحقية قول ابن خلدون : انه لم يبق من الخلافة بعد زوال سلطان العرب الا اسمها . ويقول أبو الريحان البيرونى المتوفى سنة 440 هـ/1408 م . انه لم يبق للخليفة من الامر شىء اللهم الا ما كان متعلقا بالدين وحراسته .

والخلاصة ــ عندى ــ ولا سيما بعدما تطور نظام الحكم اليوم عند جميع الشعوب الاسلامية حيث ولا حدود تقام ولا تطبيق لاحكام القرآن فى المعاملات ولا نظام لبيت المال ، ولا نظام للصدقات والزكاة والعشور ولا للخراج ولا للجهاد ولا للبيوع والقراض والاجارات الخ ... كل ذلك

دخله التحريف والتبديل والتغيير والحذف ، فلم يبق مع ذلك لمقام أمير المؤمنين أى حرمة ولا هيبة ، وعليه فلا ارى حرجا فى ان يتلقب من شاء اليوم بلقب أمير المؤمنين ، وليدعه من شاء فلا معنى له عندى اليوم وما هو الا كما قيل :

مما يزهدنى فى أرض أندلس   أسماء معتصم فيها ومعتضد

القاب مملكة فى غير موضعها   كالهر يحكى انتفاخا صورة الأسد

وليتسم به من أحب فهو عندى لا يزيد عن من يتسمى اليوم بسيف الدين وسيف الاسلام أو محيى الدين وعضد الدين أو ركن الدين ، فهو مطلق علم أو (اسم يعين المسمى مطلقا) ويعجبنى فى ذلك قول من قال :

طلع الدين مستغيثا الى الله وقال العباد قد ظلمونى

يتسمون بى وحقك لا أعرف منهم شخصا ولا يعرفونى

وكان من فضل الله علينا وعلى الناس أن كانت مسالة نصب الامام ليست ركنا يعتقد فى الدين ولا هى من أصول الاعتقاد كما قال امام الحرمين فى الارشاد .

الإســــلام وأصول الحــــكم

السعيد الصالحى

عضو المجلس الاسلامى الاعلى
– الجزائر –

الاسلام قدم للناس فى الكتاب والسنة مبادىء لتكوين الدولة ، وترك المجال فسيحا لصياغة النظام المفصل حسب ما يناسب كل زمان ومكان وبيئة،فرسول الله ص سلك طريقا اذ لم يوص بل لمح فقط وأبو بكر اختار وأوصى ، وعمر سلك طريقا آخر حسب اجتهاده . والكل لا يخالف ما نص عليه كتاب الله والسنة النبوية .

فالحكم أو الدولة جزء من تعاليم الاسلام ، فأقوال النبى عليه السلام تشتمل على مصطلحات جديدة فى فكرة الدولة لم تكن معهودة من قبل فلقد أكد عليه السلام تنظيم الجماعة أيا كانت هذه الجماعة فلنستمع الى قوله عليه السلام : لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمروا عليهم احدهم ، فالامر بتأمير واحد فى الجماعة القليلة يدل دلالة واضحة على التأمير فى سائر الجماعات كثيرة أو قليلة لقد وردت أحاديث استعمل فيها لفظ الامام بالدلالة على الحكم كقوله عليه السلام (كلكم راع وكل

راع مسؤول عن رعيته (حديث) فالامام راع ومسؤول عن رعيته الحديث) وقوله (ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل (حديث) وقوله (يوم من امام عادل أفضل من عبادة ستين سنة) (حديث) وكذلك استعمل لفظ الخلافة كقوله (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) . كما استعمل أيضا فى صدر الاسلام لفظ أمير المؤمنين ولم يستعمل لفظ الملك ولا السلطان الا فى الآونة الاخيرة فى عصور الانحطاط . اذ توحى هذه الكلمة على التسلط والاستحواذ والطغيان والجبروت والاستعلاء فوق الناس ، فالاسلام يوجب صراحة على كل مسلم ان ينتسب الى دولة اسلامية بارتباط البيعة والرضى والمساواة ، ولذلك قال عليه السلام : (من مات وليس فى عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية) ، وقال أيضا (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية) وكقوله (من نزع يده من طاعة امامه فانه يأتى يوم القيامة ولا حجة له) . وقد ثار جدال كبير بين فقهاء الاسلام ومتكلميهم على اختلافهم فى المذاهب والنحل على الشروط المستلزمة للامامة والمرشح لها هل هو قرشى أم لا وغير ذلك من الشروط الكثيرة . ولكنهم اجمعوا منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا على وجوب اقامة الدولة . قال اللقانى فى جوهرته :

وواجب نصب امام عدل	بالشرع فاعلم لا بحكم العقل
فليس ركنا يعتقد فى الدين	فلا تزغ عن أمره المبين
الا بكفر فانبذن عهده	فالله يكفينا اذاه وحده

كل ذلك لاجل اقامة العدل بين الناس ضعيفهم وقويهم وحماية المسكين واليتيم والمرأة واغاثة المحتاجين وكفاية العاجزين وحراسة الثغور وتنفيذ أسس الاسلام وأركانه واقامة الحدود وغير ذلك .

فالوالى أو الخليفة أو الامام والمعنى واحد مكلف بتحرير الانسان من الخضوع لغير الله وهو الهدف الاسمى والغاية القصوى لتكوين الدولة

الاسلامية اذ من الانحطاط والمسخ والصغار ودوس كرامة الانسان أن يصبح عبدا لانسان آخر مثله فى الخلقة حيا أو ميتا أو لهيئة من بنى آدم أو لبعض أجزاء الطبيعة كالكواكب والحيوانات وغير ذلك .

فالناس كلهم على اختلاف صفاتهم ولغاتهم ومنازلهم فى المجتمع مثقفون أو جهلاء أغنياء أم فقراء ذكور أم اناث لا فرق بينهم فى الكرامة الانسانية . فالراعى والرعية متساوون فى الاسلام . فليس لواحد من البشر أن يخضع له الآخرون اذ هذه الصفة لا يستحقها الا الخالق الجبار . فالعلاقة بين الامام والرعية علاقة تنظيم لا غير . فهى طاعة فى حدود الشريعة السمحاء . فليس ثمة طبقة تمتاز بامتيازات خاصة لا للحكام ولا لعلماء الشريعة الاسلامية ولا لغيرها فالطبقية منافية للاسلام والخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه أنفعهم لعياله كما ورد ذلك عن المعصوم عليه السلام . فالبشر كلهم متساوون كما قال الامام على رضى الله تعالى عنه :

الناس من جهة التمثيل اكفاء　　أبوهم آدم والام حواء

فكلهم مستخلفون من الله فوق هذه البسيطة لعمارتها وصدق الله العظيم اذ يقول : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » ويقول : « هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها » ويقول : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ومما حذر منه الاسلام اشعار الفرد بالذلة أمام القائد الجبار أو الزعيم الاوحد أو الملك المقدس أو ظل الله فى الارض أو الجزب المستعلى الذى يسدل على اعماله القدسية أو ما يشبه ذلك من الالقاب والاصنام والوثنيات البشرية والصفات التى لم ينزل بها من سلطان ، قال عليه السلام : خيار ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم فالامام الذى يدير شؤون الناس فى

نظر الاسلام راع كما ورد فى الحــديث الشريف ولقد فهــم أصحاب الرسول عليه السلام هذه الوضعية السامية فنفذوها وساروا على نهجها قال خليفة رسول اللــه أبو بكر رضى اللــه عنه لـما بويع له بالخلافة : (الضعيف عندكم قوى حتى آخذ له الحق والقوى ضعيف حتى آخذ منه الحق) أو كما قال . ولقد دخل أبو مسلم الخولانى على معاوية رضى الله عنهما وهو أى معاوية أمير المؤمنين فقال له (السلام عليك أيها الاجير) فالاسلام مبنى على حرية الرأى فى حدود الشريعة قــال عليه السلام : (اذا رأى الناس الظلم فلم يأخذوا على يده أو شك أن يعمهم الله بعذابه فالانسان حيوان مخلوق مكرم) كما قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم » لقد منحه الله صفات عالية من قدرة وارادة وعلم وحياة وعقل وكـــل المقومات ليكون سيد المخلوقات فوق هذه الارض ، فله حقوق ليس لاحد اهدارها وانتهاكها وهو نفسه لا يجوز له أن يتنــازل عنها ويتصاغر لمن هو مثله فى الخلق بناء على ما تقدم من وجوب اقامة الدولة وتعيين رئيسها شرعا فلابد مــن وجود شروط واستكمال صفات فيمن يتـأهل لرئاسة المجتمع الاسلام أو المرشح للرئاسة أو الخلافة والمعنى واحــــد فالمرشح لابد أن يستوفى هذه الشروط التى بينها الفقهاء والمتكلمون . العقيدة الصحيحة التى تبنى الدولة على أساسها وأركانها من علم واخلاق وخبرة ادارية وسياسية واستشارة ذوى الرأى والكفاءة أو ما يعبــر عنه في السابق بأهل الحل والعقد. ومن الشروط الاساسية التى لا محيد عنها الرضى من الامة عند توفر الشروط فى المرشح وهو المعروف فى عهــد السلف بالبيعة أو المبايعة،فهى عقد وميثاق بين الراعى والرعية أو بعبارة أصح بين الامام المرشح والشعب ، أما الامام فيبايع على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله وما اجمعت عليه الامة والنصح للمسلمين وعدم تضييــع شبر من الوطن الاسلامى .

وأما الامة فتبايع على الطاعة فى ضمن طاعة الله ورسوله كما عرفنا بذلك خليفة رسول الله أبو بكر الصديق بقوله : (اطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعـة لى عليكم) لقد كان فى عهـد القرون الاولى والدولة الاسلامية متسعة الاطراف متعددة الاقطار تقتصر البيعة أولا على عاصمة الدولة ثم يرسلون الى الامصار الاخرى لاخذ البيعة اما من أهل الحل والعقد فقط واما من جميع أفراد الشعب، وأما الآن الطرق معبدة والوسائل متوفرة والعالم أصبح كمدينة واحدة فلابد من أخذ البيعة من جميع أفراد الامة دون قهر ولا حيلة بـل بالرضى والاختيار عن بينة وبصيرة ، فلا غش ولا خداع ولا تزييف ولا شـراء الاصوات ولا تملق الجماهير واستغلال غفلتها وغير ذلك . فلا تعتبر البيعة شرعا اذا كانت جبرا أو قهرا بالسنان والمدفع والاعدام والكيد كما يعمد لذلك الكثير من الملوك والرؤساء فى وقتنا هذا . الحكم فى الاسلام لا يكون الا بالشورى للنص الوارد فى القرآن والامر لنبيه عليه السلام بقوله تعالى (وشاورهم فى الامر) رغم كونه معصوما لا ينطق عن الهوى وكما ورد أيضا فى وصف المؤمنين بهذه المنقبة (وأمرهم شـورى بينهم) . الامام فى الاسلام مسؤول عن جميع تصرفاته أمام الله وأمام الامة . مسؤول أمام الله فى النصح لامته والعدل بـين رعيته والدفاع عن الاسـلام وبيضته واقامة حدود ربه ، ومسؤول أمـام الناس على المحافظة عـلى الاعراض والدماء والاموال والصهـر على جميـع مصالحهـم الدنيوية والاخروية اذ ليس الحكم فى الاسلام استعلاء وامتيازا وانما الحكم امانة كما وصفها رسول الله عليه السلام لابى ذر الغفارى رضى اللـه عنه بقوله يا أبا ذر «انها أمانة، وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأعطى الذى عليه فيها» وقال عمر لابى موسى الاشعرى رضى الله عنهما لما ولاه : (انما أنت امرء منهم وقد جعلك الله اثقلهم حملا) .

فالاسلام الزم الامة بمبادىء فى كتابه وسنة نبيه ولم يجبرها على شكل معين من أشكال الحكم مبين بجزئياته وتفاصيله ، وانما يشتمل على مبادىء دستورية أساسية فلكل جيل أن يصوغ منها انظمة متنوعة دون الخروج عن أسسها وقواعدها . فرأس هذه المبادىء وذروة سنامها قوله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ، ثم لنستمع لقوله عليه السلام : (من ولى على عصابة رجلا وهو يجد من هو ارضى منه فقد خان الله ورسوله) ، وقوله أيضا عليه السلام : (اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة) فالاسلام يراعى الاخلاق الفاضلة والخبرة السياسية والادارية أو بعبارة أشمل الكفاءة فى جميع الامور المؤهلة للامارة ، فلقد كان عليه السلام ينهى عن تولية أمور المسلمين بالبطانة والعنصرية والرشوة والعاطفة وغير ذلك ، مما يخالف المصلحة والمنطق . فاذا ولى خالدا بن الوليد مثلا امارة الجيش وهوحديث عهد بالاسلام فلكفاءته الحربيةوكذلك زيد بن حارثة وابنه اسامة وغيرهم كثير. واذا ولى عُمَرٌ عَمْرَو بن العاص الامارة فلكفاءته ودهائه فى السياسة . ولم يراع الخلفاء رضوان الله عليهم القرابة ولا المحسوبية أصلا . فاذا وردت بعض الاحاديث مع درجتها في الصحة والضعف مثل (الائمة من قريش) أو (الناس تبع لقريش مسلمهم وكافرهم) (أو فى الخير والشر) فهذه الاحاديث تقرر واقعا ملموسا فى ذلك الوقت اذ ان العرب الكافرين يؤمرون عليهم قريشا فى جاهليتهم وكذلك العرب المسلمون . لا ايجاب حكم وتقريره كقعادة للخلافة .

وبيان ذلك أن لقريش مكانة بين العرب فى ذلك الوقت لكونهم سدنة البيت مقام ابراهيم المعظم المحترم عند سائر العرب وقد أبقاه الرسول لهم بعد الاسلام ، وأيضا لما لهم من الاموال برحلة الشتاء والصيف ،

ولما لهم من المنعة والرجال لكونهم مأمونين فى بيت الله الحرام ، فهذا تقرير زمانى واقعى وليس حكما لطول الدهر ، وقد أشار أبو بكر رضى الله عنه الى ذلك بقوله : ان العرب لا تدين الا لهذا الحى من العرب . والتاريخ اصدق شاهد اذ بقيت الخلافة عددة قرون لبنى أمية وبنى العباس . وهم قرشيون فاذا كانت لا تزال لقريش فيه قوة ومناعة .

وختاما فالامامة مرتبة سامية عظيمة وخلافة لرسول الله فى امته عالية ، فان أحسن صاحبها تحمل ثقلها وعظيم مسؤوليتها فتلك نعمة من الله سيقت اليه كما قال عليه السلام فى حديث مشهور سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله وذكر فى الدرجة الاولى ـ الامام العادل ـ واذا ظلم واستهان بمسؤوليته واندفع مع شهواته واغراضه واغتر بسلطانه وخيب المسلمين فى الثقة التى جعلوها فيه فتلك مصيبة سيقت اليه وستتعلق جميع الامة بتلابيبه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الخلافة في الإسلام لا علاقة لها بالإرث

سليمان داود بن يوسف
مؤرخ وفقيه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته ، ايها العلماء الكرام رأيت ان اشارك فى هذه الندوة ندوة العلماء الذين يركزون بحثهم عن الخلافة فى الاسلام وكان هذا الموضوع من أهم المواضيع التى يجب ان نوليه اهتماما زائدا وقبل أن أخوض فى الموضوع يجب التعريف بالخلافة قال الشيخ رشيد رضا : « الخلافة والامامة العظمى وامارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد وهو رئاسة الحكومة الاسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا » وقال العلامة الفقيه أبو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتابه الاحكام السلطانية : « الامامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا وقد اجمع سلف الامة على ان الامام واجب على المسلمين عندما تكون الشروط مستوفية » .

من ينصب الخليفة ويعزله

اتفق المسلمون على أن المطالب بنصب الخليفة أهل الحل والعقد فى الامة وبقى علينا توضيح من هم أهل الحل والعقد وهل تشترط مبايعتهم كلهم أم يكتفى بعدد معين منهم أم لا يشترط العدد أن المتبادر منه انهم زعماء الامة وأولو المكانة وموضع الثقة من سوادها الاعظم بحيث تتبعهم فى طاعة من يولونه عليهم فينتظم به أمورها ويكون بمامن من عصيانها وخروجها عليه وقد ذكر السعد في شرح المقاصد كغيره من المتكلمين والفقهاء بأن أهل الحل والعقد هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس زاد فى المنهاج للنووى الذين يتيسر اجتماعهم وعلله شارحه الرملى بقوله : لان الامر ينتظم بهم ويتبعهم سائر الناس وهذا التعليل هو غاية التحقيق فاذا لم يكن المبايعون بحيث تتبعهم الامة فلا تنعقد الامامة بمبايعتهم وهذا هو المأخوذ من عمل الصحابة رضى الله عنهم فى تولية الخلفاء الراشدين فتحرر بهذا ان الاصل فى المبايعة ان تكون بعد استشارة جمهور المسلمين واختيار أهل الحل والعقد ولا تعتبر مبايعة غيرهم الا أن تكون تبعا لهم ومن تصدى لمثله فبايع أحدا فلا يصح أن يكون هو ولا من بايعه أهلا للمبايعة بل يكون ذلك تغريرا بأنفسهما قد يفضى الى قتلهما اذا احدث فى الامة شقاقا فقد قال الامام على كرم الله وجهه بعد موت الخليفة عمر رضى الله عنه وهو يخطب فى منبر الرسول صلى الله عليه وسلم : « من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه » .

سلطة الجماعة ومعنى الجماعة

قال الله تعالى فى وصف المؤمنين وأمرهم شورى بينهم والجماعة هم أولو الامر من المسلمين وأهل الحل والعقد والاجماع المطاع ومن الآثار

الدالة على الاجماع فى ذلك قول ابى بكر رضى الله عنه فى خطبته الاولى بعد المبايعة : « اما بعد ، فقد وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فاعينونى واذا زغت فقومونى » وبهذا قررت المعتزلة والخوارج ووافقهم كثير من العلماء مثل امام الحرمين والرازى والعضد والسعد والجرجانى ان للامة خلعه وعزله مثل ان يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين كما كان لهم نصبه واقامته لانتظامها واعلائها وقد فسر كثير من العلماء قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) ان المراد بأولى الامر أهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الامة وهم أهل الشورى من زعماء المسلمين وقد حقق هذا المعنى الفخر الرازى والشيخ محمد عبده والنيسابورى وغيرهم ومما تقدم يعلم أن أهل الحل والعقد هم الرؤساء الذين تتبعهم الامة فى أمورها العامة واهمها نصب الامام الاعظم وكذا عزله اذا ثبت عندهم وجوب ذلك ومن يملك التولية يملك العزل ومن ظن أن كل من يوصف بالعلم والوجاهة تنعقد بيعتهم الامامة ويجب الامة على الامة اتباعهم فيها فقد جهل معنى الحل والعقد ومعنى الجماعة والاجماع وما تقدم من الاخبار والآثار .

الشروط المعتبرة فى الخليفة

يرى ابن خلدون ويشاركه فى هذا الرأى جمهور العلماء من المسلمين انه لابد أن تتحقق فيمن يرشح للخلافة على المسلمين اربع صفات وهى العلم والعدالة والكفاءة وسلامة الحواس والاعضاء بما يؤثر فى الرأى والعمل وهناك من يشترط النسب القرشى ولكن هذا الشرط رفضته المعتزلة والخوارج وقد جعل العلماء لكل شرط من الشروط المتقدمة حدودا لا يتسع المقام لبسطها قال المسعودى كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى أن الامامة اختيار من الامة وأن اختيار ذلك مفوض

الى الامة تختار رجلا منها ينفـذ فيها أحكام الله سـواء كان قرشيا أو غيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والايمان ولم يراعوا فى ذلك النسب وواجب على أهل كل عصر أن يفعلـوا ذلك والذى ذهـب الى أن الامامة قد تجوز فى قريش وغيرهم من الناس هم المعتزلة باسرها وجماعة من الزيدية ويوافقهم على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم قالوا وقد صح بذلك عن النبى أخبار كثيرة منها قوله اسمعوا واطيعوا ولو لعبد اجذع وقوله لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى وقول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم بعد هذه المقدمة التى بسطنا فيها القول عن معنى الخلافة والامامة ومن يستحقها تنتقل الى الواقع الذى يعيشه المسلمون من العضـور الاولى الى يومنا هذا شهـد التاريخ ان الخـلافة الراشدة التى لبس ثوبها الخلفاء الراشدون قد تحولت الى ملك عضوض وان عمرها لم يتجاوز ثلاثين عاما فى هذه الحياة .

يقول ابن خلدون فقد رأيت كيف صار الامر أمر الخلافة الى الملـك وبقيت معانى الخلافة من الجرى على منهاج الحق مدة ثم انقلب عصبيـة وسيفا وذهبت معانى الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا بحتـا كما كان الشان فى ملوك العجم ، وقد روى كثـير من المؤرخين ان النبى (صلعم) قال : الخـــلافة بعـــدى ثلاثـون سنـة ثم يعـــود ملكـــا عضـوضا (1) حقيقـــة بعـد الثـــلاثين مـــن مـــوته صـــلى اللـــه عليـــه وسلـم صـــارت التغلـب عـــلى الملـــك بعصبيـــة الجنـــس والايثار للاقارب بولاية العهد وطلب الامارة بالقهر والجبر وهذا هـــو الواقع فى أكثر البلاد الاسلامية من القديم الى الآن وقد نص كثير من العلماء على أن الوصول للملك بهاته الوسائل مناف للدين.يقول رشـيد رضا ان أحكام الشرع هى الحاكمة والنافذة وان المسلمين لا يدينون الا

1) أبو الفداء ج 1 ص 13 .

بها ولا يخضعون الا لمن ينفذها واما التغلب بعصبية الجنس فليس من هدى الاسلام فى شىء بل خروج عن هدايته وحكمه وان الامويين كانت عندهم عصبية لاهل بيتهم ثم للعربية فمقتهم العالم الاسلامى وقلبهم قبل ان يستكمل ملكهم قرنا واحدا وقد حذر الامام العادل عمر بن الحاج الخطاب رضى الله عنه من ايثار الاقارب المنافى لهدى الاسلام والمفضى الى فساد الامر . ولهذا كانت ادارسة المغرب يلقبون بالسلاطين (2) يقول السيد قطب رحمه الله فى كتابه العدالة الاجتماعية فى الاسلام يصبح حاكم المسلمين باختيار المسلمين الكامل وحريتهم المطلقة لا يفيدهم عهد من حاكم ولا وراثة كذلك فى أسرة فانه فى دولة بنى أمية انساحت حدود بيت مال المسلمين فصار نهبا مباحا للملوك والحاشية والمتملقين وتخلخلت قواعد العدل الاسلامى الصارم فاصبح للطبقة الحاكمة امتيازات ولاذيالها منافع ولحاشيتها رسوم وانقلبت الخلافة ملكا عضوضا وكان أول من احتاط على نفسه أن يقع فى ما يراه مناف لقواعد الخلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه امتنع أن يكون ولده عبد الله فى قائمة أهل الشورى مع انه فى الحقيقة كما تعلمون أهل لها وخوفا من الوقوع فى المحذور شرط أن يكون ابنه عبد الله شريكا فى الرأى ولا يكون له حض فى الخلافة (3) .

وقد اجتمعت بنى أمية الى معاوية ابن يزيد بن معاوية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف اتقلد وزرها وتنتحلون أنتم حلاوتها واتعجل مرارتها اللهم انى برىء منها متخل عنها (4) ثم دخل منزله وتغيب فيه حتى مات (5) وأن الخليفة

2) رشيد رضا ، الخلافة والامامة العظمى ص 23 — 24 .
3) أبو الفداء ، ج 1 ص 16 — المسعودى ج 3 ص 20 .
4) أبو الفداء ، ج 1 ص 193 .
5) أبو الفداء ، ج 1 ص 201

عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان موته بالسم فان بنى أمية علموا أنه ان امتدت أيامه أخرج الامر من ايديهم وقد فهموا منه انه يتطلع الى تسليم الامر لغيرهم ممن ترضاه جماعة المسلمين فسقوه السم وقد استعمل كثير ممن يريد التوصل الى الحكم وسائل القهر والضغط ولا يهمه الا التوصل للحكم مهما كلفه ذلك روى البخارى والنسائى وابن أبى حاتم أن مروان خطب بالمدينة ليزيد بن معاوية قال أن والده استخلفه سنة أبى بكر وعمر فقال عبد الرحمان بن أبى بكر سنة كسرى وهرقل ولما رفض أهل المدينة البيعة ليزيد اباحها ثلاثة أيام ارسل جيشه يقتلون الناس ويأخذون الاموال ويفسقون بالنساء ثم أن مسلما بن عقبة المرى بايع من بقى من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد.ولما فرغ من المدينة سار بالجيش الى مكة (6) ولما اختل أمر بنى أمية أجتمع أهل البيت بالمدينة وتشاوروا فيمن يقدموا له الخلافة فوقع اختيارهم على محمد بن عبد الله النفس الزكية فبايعوا له بالخلافة وسلموا له الامر بأجمعهم وحضر هذا العقد أبو جعفر المنصور ، قال ابن خلدون ولهذا كان الامام مالك والاما أبو حنيفة رحمهما الله يحتجان له حين خرج بالحجاز ويريان أن امامته أصح من امامة أبى جعفر المنصور وكان ذلك سبب المحنة التى أصابت الاماميين أيام أبى جعفر المنصور حتى ضرب الامام مالك على الفتيا فى طلاق المكره وسجن أبو حنيفة على القضاء وزاد حقد بنى العباس على الامام مالك أنه نوه بشأن أبى حمزة المختار بن عوف الاباضى عند استلائه على المدينة فى أواخر أيام بنى أمية وكان معجبا بخطبه الجمعية ثم أنه اجتمع ببعض حجاج المغاربة فسألهم عن سيرة عبد الرحمان الداخل فقيل له أنه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد فى سبيل الله

6) رشيد رضا . الخلافة ص 44
7) المسعودى ج 3 ص 17 – أبو الفداء ج 1 ص 192 .

فقال الامام مالك : ليت الله زين حرمنا بمثله ، فنقم عليه بنو العباس هذه المقالة وكان من أسباب توصلهم الى ضربه فى مسألة الاكراه كما هو مشهور وقد عاشت الامة الاسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين حياة سعيدة لم تعشها أمة قبلهم ولا بعدهم وقد ضربت حياة الشعب المسلم فى أيام عزه أروع الامثال لم يسبق لها نظير ولم يتوصل اليها أى حكم فى العالم قال عبد الكريم الخطيب فى كتاب الخلافة والامامة كثير من المسلمين كفر بالخلافة وانكر مقامها فى المجتمع الاسلامى حين نظر اليها فى أيام ضعفها وهزالها وفسادها حين تمثلها فى أولائك الخلفاء من الخلعاء والسفهاء والمتسلطين أنه يراها بلاء على الاسلام ونقمة على المسلمين وأنها لتجنى على الاسلام اشنع جناية واسوأها حين تتخذ الدين مصرحا تقيم عليه مفاسدها وتمثل فيه تلك الادوار الساقطة التى تشيع فى الناس صدودا عن الدين ونفرة منه هذا ولا تزال بعض الامم الاسلامية تبتعد عن نظام حكم الخلافة وانما تعمل جاهدة بجميع الوسائل للاستيلاء على الحكم والحصول على السلطة بدون أى مراعاة لقواعد الشريعة ولهذا نرى أهل الحل والعقد من العلماء والوجهاء يتورعون عن تسمية أحد الملوك بأمير المؤمنين فترى صلاح الدين الايوبى رحمه الله بعث برسالة الى عبد المؤمن بن على يطلب منه المعونة والتأييد فى الحرب الصليبية وتحاشى ان ينعته بأمير المؤمنين وقد انتحل عبد المؤمن لنفسه لقب أمير المؤمنين حتى ظن كثير من الناس انه لا يستجيب له ولكن ايمان عبد المؤمن رحمه الله جعلته يستجيب لصلاح الدين لانه يرى أن الخلافة لم تطبق قواعدها منذ زمان فاذا كان عبد المؤمن مع جلالة فضله وعلو منزلته وعظيم جهاده ينزه صلاح الدين نفسه ان يلقبه بأمير المؤمنين مع انه فى أشد الحاجة لاعانته فكيف يسوغ لغيره ان يتطاول لهذا اللقب الذى هو بعيد عنه . والخلاصة ان بعض الامم الاسلامية لم تزل

تبتعد عن الخلافة وتتطلع للحكم بجميع الوسائل الممكنة ونرجو من جميع ولاة أمـور المسلمين فى جميع العالم الاسلامى ان يرجعوا الى رشدهم ويحاولوا تطبيق الشريعة الاسلامية فى جميع الحالات واما انتحال اسم الخلافة أو الامارة بدون أى اعتبار لاصـول الشريعة فى ذلك فسراب لا يثبت بحال وأو لى ممن كانت حالته هذه ان يتلقب بالملك أو السلطان حتى لا تلتفت اليه انظار الباحثين والمفكرين فى الامر نسأل الله أو يجمع كلمة المسلمين ويوحد بين صفوفهم ويرفع من شأن الاسلام والمسلمين ويرد للاسلام عزه ومجده والحمد لله رب العلمين .

اعتـــذار

نعتذر عن خطا مطبعى وقع فى مقال للسيد مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الأصلى والشؤون الدينية ، بعنوان « اما تـــزال بـراقش » المنشور فى عدد 27 ص 3 من « الأصالة » حيث سقط سطر فجاءت العبارة هكـــذا :

(••• والجنان والحدائق ، مظنة الهواء والعيون ، ايغمراسن بن زيان ، فى تلمسان) •

والصـــــواب :

(••• والجنان والحدائق ، مظنة الهـواء والعيـــون ، ومنهـل الآداب والفنون ، مثـوى العباد والزهاد ، ومعقـل بنى عبد الـواد ، فى عاصمة ايغمراسن بن زيان ، فى تلمسان !) •

فمعذرة للقـــراء الكـــرام •